لطائف ومعارف القرآن الكريم
بين سؤال وجواب

الجزء الخامس

الشيخ
علي الابراهيمي



الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م

مراكز التوزيع

مكتبة الأمين	مكتبة الأمين
العراق - كربلاء المقدسة هاتف ٣٣٥٢٦٢ / ٣٢٨٦١١	إيران - قم - ص.ب: ٤٣٥٩ هاتف: ٧٧٤٢٥٩٩
مكتبة هيئة الأمين ﷺ الكويت - بنيد القار حسينية أحمد عاشور هاتف / ٢٥٤٤٢٠٢ - فاكس / ٢٥٢٩٦٤٠	**دار الأمين** لبنان - بيروت حارة حريك مقابل البنك الفرنسي قرب مستودع دار العلوم

مكتبة هيئة الأمين ﷺ



لطائف ومعارف القرآن الكريم
بين سؤال وجواب

لطائف ومعارف القرآن الكريم
من سورة المجادلة إلى سورة الصف
(الجزء: ٢٨ من القرآن الكريم)

الجزء الخامس

الشيخ
علي الإبراهيمي



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ

ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

صدق الله العلي العظيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى أهل بيته الطاهرين المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[١].

فعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن:

«يا معاذ! علمهم كتاب الله، وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة، وأوصيك بتقوى الله والفقه في القرآن»[٢].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لايضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان في عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا

(١) سورة الإسراء: ٩.

(٢) تحف العقول: ص٢٥.

لأحدٍ قبل القرآن من غنى..»[١].

لقد تم بفضل الله (سبحانه وتعالى) ومنّهِ إنجاز الجزء الثامن والعشرين من تفسير القرآن الكريم بأسلوب السؤال والجواب، في مدة تجاوزت السنة، وبما أن هذا العمل المبارك كان يتطلب مني جهداً كبيراً ووقتاً واسعاً، فلذا بدأت متوكلاً على الله عزوجل ومتوسلاً بأحب خلقه محمد وآله الطاهرين عليهم السلام، وكنت أرى بأن هذا الإنجاز لا يمكن إتمامه إلا من خلال عقد معاهدة مع الله (سبحانه وتعالى)، فلهذا تعاهدت معه (جل وعلا) بأن آتي بذكر الصلاة على النبي وآله الطاهرين يومياً مئة مرة، وأن أبعث ثواب هذا الذكر العظيم لروح أم البنين أم العباس وإخوته عليهم السلام، وهي فاطمة بنت حزام الكلابية، تزوجها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام، هذه المرأة العظيمة كانت تؤثر وتُقَدّم الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام على أولادها في كلٍ صغيرة وكبيرة، وإنها طلبت من الإمام عليه السلام أن يغير اسمها، لأنها كانت ترى تألّم الحسنين عليهما السلام حيث يتذكران أمهما فاطمة الزهراء عليها السلام، لهذا سماها الإمام علي عليه السلام بأم البنين، وإن أولادها استشهدوا في كربلاء بين يدي الإمام الحسين عليه السلام وما كانت تسأل عن مصيرهم بل كانت تسأل عن الحسين عليه السلام أهو حي أم لا؟.

وبالفعل فقد وفقني الله سبحانه وتعالى في إتيان هذا الذكر كما هو ينبغي من دون خلل أو نقص، ومن جانب آخر وفقت في كتابة هذا البحث بالرغم من كثرة الصعوبات التي كنت أواجهها، أسأل الله سبحانه وتعالى بجاه محمد وآله الطاهرين عليهم السلام أن يتقبل مني هذا العمل وأن ينفعني به وسائر المؤمنين يوم

---

(١) نهج البلاغة: خ١٧٦.

الجزاء الأكبر ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ❖ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين ورحمة الله وبركاته..

الشيخ علي الإبراهيمي

١/٦/٢٠٠٦ ميلادية

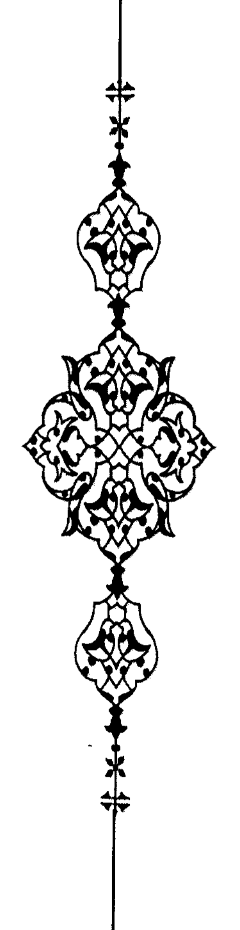
٤/ جمادى الأول/ ١٤٢٧هجرية

دمشق - بجوار السيدة زينب الكبرى

(عليها وعلى آبائها أفضل الصلاة والسلام)

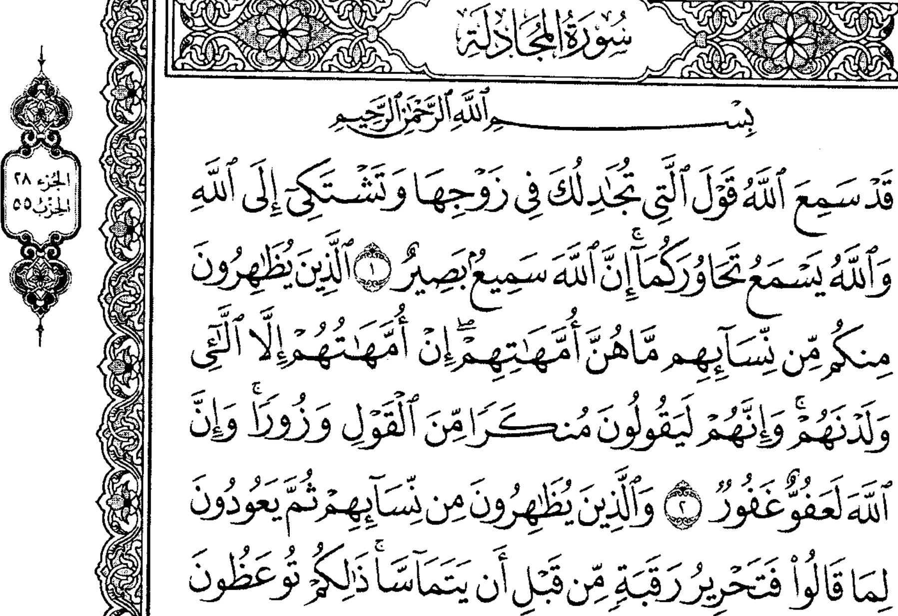
(١) سورة الشعراء: ٨٨ -٨٩.





سورة المجادلة





سُورَةُ المُجَادَلَةِ

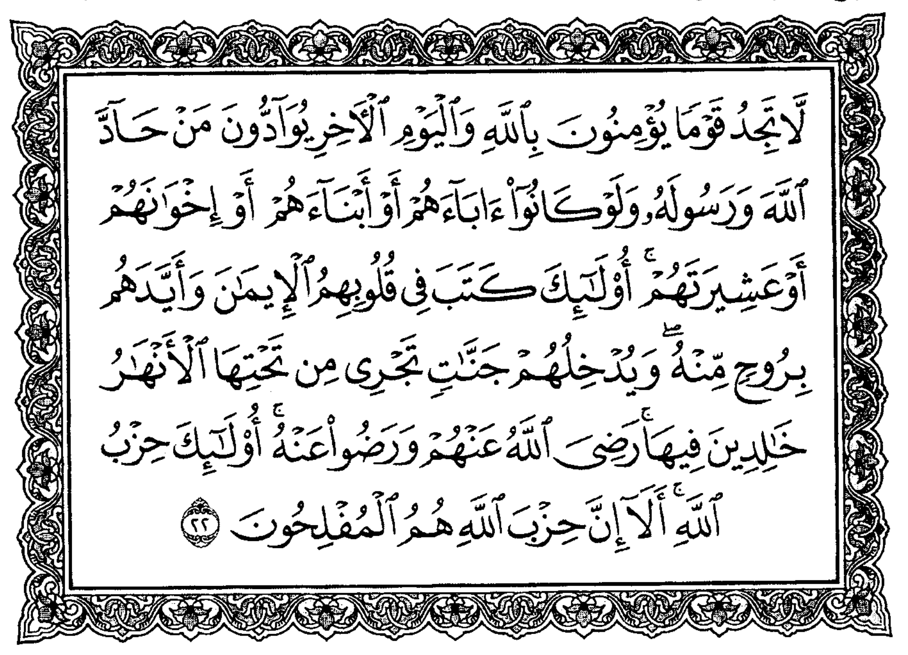
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن
نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ
وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ
شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾



يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ
(١٢) ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٣) ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ
قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ (١٦) لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ
عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ
(٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١)



فضلها:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاةِ فريضة أدمنها لم يعذبه الله حتى يموت أبداً، ولا يرى في نفسه ولا في أهله سوءاً أبداً، ولا خصاصة في بدنه»[1].

سبب النزول:

قال في المجمع (بتلخيص) — نزلت الآيات في امرأةٍ من الأنصار من خزرج. واسمها (خولة) وزوجها (أوس) وذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها، فلما انصرفت أرادها، فأبت عليه، فغضب عليها، وكان فيه سرعة ولمم، فقال لها: أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، وكان

(١) ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق ص١٤٥.

الظهار من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلا وقد حَرُمت عَلَيَّ، فقالت: لا تقل ذلك وَأْتِ رسول الله ﷺ فاسأله؟ فقال: إني أجد أني استحي من أن أسأله عن هذا. قالت: فدعني أسأله؟ فقال: سليه، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن زوجي أوس بن صامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي، وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني، وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه فتنعشني به؟ فقال: ما أراكِ إلا حرمت عليه ـ أراد ﷺ الحرمة المؤقتة التي تحل بالكفارة ـ فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، وإنه أبو ولدي وأحب الناس إليَّ؟ فقال ﷺ: ما أراكِ إلا حرمت عليه، ولم أُومر في شأنك بشيءٍ فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي، اللهم فأنزل على لسان نبيك، وكان هذا أول ظهار في الإسلام. وقالت: انظر في أمري جعلني الله فداك. فنزل على الرسول ﷺ الوحي، ثم قال ﷺ: ادعي زوجك، فتلا عليه رسول الله ﷺ ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ...﴾ إلى تمام الآيات، فقال ﷺ: هل تستطيع أن تعتق رقبة؟ قال إذاً يذهب مالي كلُّه والرقبة غالية. فقال ﷺ: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فقال: والله يا رسول الله إني إذا لم آكُلْ ثلاث مرات كَلَّ بصري وخشيت أن تعشى عيني، قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال: لا والله إلا أن تعينني على ذلك يا رسول الله، فقال ﷺ: إني معينك بخمسة عشر صاعاً وإني داع لك بالبركة، فأعانه ﷺ بذلك[1].

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان/ المجلد ١٠ ص١٤ـ١٥.

مفردات السورة:

المجادلة: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

الاشتكاء: إظهار ما بالإنسان من مكروه.

التحاور: التراجع.

الظهار: هو أن يُشبه الرجل زوجته بظهر أُمّهِ.

زوراً: الزور هو القولُ الباطل.

يتماسّا: يتقاربا.

يحادون: يخالفون ويعادون.

كبتوا: أي أذلهم الله وأخزاهم. والكبت هو القهر والإذلال.

الإحصاء: الإحاطة بعدد الشيء من غير أن يفوت منه شيء.

النجوى: مصدر بمعنى التناجي وهو المسارة، يدور بين اثنين أو أكثر.

التحية: أن يقال: حياك الله، أي: جعل لك حياة، وذلك إخبار، وأصل التحية من الحياة.

التفسح: التَّوَسُّعُ.

انشزوا: تفرقوا، من نشز: أي ارتفع، والناشز: وهي المرأة التي تنشز عن زوجها وتتمنع عنه.

الإشفاق: عناية مختلطة بخوف.

جُنَّةً: ترساً وستراً.

استحوذ: استولى وتسلّط على مجامع القلوب.

حسبهم: كافيهم.

موضوع السورة:

نزلت السورة في المدينة المنورة، وَالسُوَرُ المدنية تتحدث غالباً عن الأحكام الفقهية، ونظام الحياة الاجتماعية والعلاقات العامة. يدور موضوع السورة حول

ثلاثة أمور رئيسية وهي:

١ـ عن حكم الظهار الذي كان يُعتبر نوعاً من الطلاق والانفصال الدائم، فقَوّمَه الإسلام وجعله في الطريق الصحيح.

٢ـ عن آداب الجلوس في المجالس، منها التفسح وعدم النجوى.

٣ـ عن المنافقين الذين يوادون أعداء الدين بينما يتظاهرون بالإسلام[١].

الأسئلة والأجوبة:

❁ قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ..﴾

(س) ما هو الظهار؟

(ج) هو أن يُشبّه الرجلُ زوجَتَه بظهر أمه، فإذا ظاهر الزوج زوجته حرمت عليه، ولو أراد الرجوع إليها وجب أن يعطي كفارة، وصيغته أن يقول الرجل لزوجته (أنت عَلَيَّ كظهر أمي) وشروطه:

١ـ أن يكون المُظاهر بالغاً وعاقلاً وقاصداً ومختاراً غير مجبور.

٢ـ أن لا تكون زوجته في حال حيض أو نفاس.

٣ـ لم يواقعها في طهر الظهار ـ كالشرط الموجود في أحكام الطلاق.

٤ـ أن يسمع الظهار رجلان عادلان.

٥ـ لا يجوز للزوج مقاربتها عند ظهارها إلا بعد دفع الكفارة.

٦ـ الكفارة عتق رقبة، وإن لم يمكنه صام شهرين متتابعين، وإن لم يمكنه أطعم ستين مسكيناً.

٧ـ إن صبرت الزوجة على الظهار لم يجب على الزوج شيء، وإن لم تصبر

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ سورة المجادلة: ١.

تراجع الحاكم الشرعي، وبدوره يخير الزوج بين أمرين: إما أن يدفع الكفارة ويرجع إلى زوجته، وإما أن يطلقها، وإن لم يختر أحدهما حبسه الحاكم الشرعي إلى أن يختار واحداً من الأمرين، وإن لم ينفع الحبس وطلبت المرأة الطلاق طلقها الحاكم الشرعي(١).

عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «لا يكون ظهارٌ في يمين، ولا في إضرار، ولا في غضب، ولا يكون ظهارٌ إلاّ في طهرٍ من غير جماع بشهادة شاهدين مسلمين»(٢).

وروي عن زرارة عنه عليه السلام في حديث أنه سأله: كيف الظهار؟ فقال: «يقول الرجل لامرأتِهِ وهي طاهرٌ من غير جماع: أنت عليَّ حرام مثل ظهر أُمي، وهو يريد بذلك الظهار»(٣).

(س) متى بدأت مسألة الظهار وكيف واجهها الإسلام؟

(ج) كانت حالةُ الظهار من الأمور القائمة في زمن الجاهلية، فكان الرجل إذا قال لزوجته (أنت عليَّ كظهر أُمي) تحرم عليه أبداً، ولا تُسَرّح لتتزوج من رجل آخر، لعبت هذه الحالة دوراً واسعاً في تدمير الكثير من الأسر قبل ظهور نور الإسلام، ومع مجيء الرسالة المحمدية، كان المجتمع متعوداً عليها وكان إيمان الناس باقياً بهذه الحالة حتى مع إسلامهم، فجاء الإسلام وَهَذَّب هذه المسألة، واعتبر الأخذ بها بصورة عشوائية كما في السابق منكراً وقولاً زوراً، فإن قول الرجل لزوجته: أنتِ عَليَّ كظهر أمي لا يصيّرها أُمّاً له ﴿**إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي**

---

(١) كتاب الأحكام الشرعية.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٥٠٩.

(٣) المصدرالسابق.

وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾، فمن الخطوات التي أخذها في تهذيب حكم الظهار هي:

١ـ أن الزوجة لا تحرم على الزوج بشكل نهائي، بل الرجعة ممكنة وإنها لا تصير كأمّه.

٢ـ لا بد على الزوج أن يَدفَع كفارة قبل إرجاع زوجته.

٣ـ أقَرَّ الإسلامُ بمسألة الظهار ولكن وفق الشروط الكاملة التي تحفظ حقوق الزوجة كما مسألة الطلاق، وإنه أقَرَّ بها كما أقَرّ ببعض الأمور التي كانت قائمةً في زمن الجاهلية كالرق ولكن وضع الحل الكامل لها، ولم يرفضها من الأساس لكي لا يُحدث هزة في المجتمع آنذاك.

(س) حسب الظاهر، إنَّ فكرة الظهار تكاد تكون معدومة ومفقودة في الحياة الاجتماعية للمسلمين اليوم، حتى إن الكثير لا يعرف عنها ولم يسمع بها، فلماذا لا ينفيها الإسلام بصورة كاملة منذ البداية؟

(ج) ليس الظهار هو الأمر الوحيد المفقود في الحياة الاجتماعية للمسلمين، بل هناك الكثير من الأمور الإلهية مفقودة وغريبة في تعاملات المسلمين، بينما نَجِدُ أموراً أخرى لم يقر بها الشرع ولم ينزل الله بها من سلطان موجودة في حياة المسلمين بشكل كبير وكأنما نزل بها الوحي. ولهذا تقول الروايات بأن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام عندما يظهر بإذن الله تعالى، يأتي بدين جديد، نعم إنها الأوامر والنواهي الإلهية، الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والناس في وادٍ آخر بعيدين عنها، منها مسألة الظهار. الإسلام أقر بالظهار كما أقر بأمور أخرى ولكن وضع لها أحكاماً وشروطاً ونتائجَ ترجع فائدتها للمجتمع الإسلامي بصورة عامة، ومن فوائدها وجود الكفارة عليها وهي «تحرير رقبة، أو صيام شهرين، أو إطعام ستين مسكيناً» حيث يعود نفعها على المسلمين.

(س) ما الفرق بين الظهار والطلاق؟

(ج)١ ـ الظهار لا يقطع الروابط بين الزوجين بشكل كامل كما الطلاق، ولكنه يُؤثر عملياً في العلاقة الجنسية المباشرة، أي يمنع الوطءَ بتعبير الروايات، حتى تُؤدى الكفارة من قبل الرجل ويذوق العقوبة الشرعية.

٢ ـ في الطلاق تنفصل الزوجة عن زوجها ويحرم عليه النظر إلى محاسِنها ويجب عليها أن تعتد، بينما في الظهار لا توجد هذه الأمور، بل إن أكثر الفقهاء جوزوا ما دون الوطء كالقبلة وغير ذلك.

❁ **قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾**

(س) لماذا التأكيد على أنَّ الله تعالى سمع قول المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ طالبة الحل لِمُعضلتها، والله تبارك وتعالى يعلم بالسر وأخفى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[١].

(ج) إن المراد بالسمع في قوله تعالى هو استجابة الدعوة وقضاء الحاجة من باب الكناية وهو شائع، والمعنى: قد استجاب الله للمرأة التي تجادلك في زوجها ـ وقد ظاهر منها ـ وتشتكي غمها وما حَلّ بها من سوء الحال إلى الله والله يسمع تراجعكما في الكلام إن الله سميع للأصوات بصير بالمبصرات[٢].

(س) كيف كان الجدال بين النبي الأكرم ﷺ والمرأة المسلمة؟

(ج) الجدال هو المفاوضة على سبيل المغالبة (حسب بعض النصوص)، أن المرأة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله قد نسخ الله سنن الجاهلية، وإنّ زوجي ظاهر مني، فقال لها: ما أُوحي إليّ في هذا شيء، فقالت: يا رسول الله

---

(١) سورة طه: ٧.

(٢) الميزان: ج٢٨ ص١٧٨

أُوحي إليك في شيء وطوي عنك هذا؟ فقال: هو ما قلتُ لكِ.

(س) حسب الظاهر من الرواية أن المرأة ألَحتّ على النبي ﷺ وراجعته مراراً، وجادَلتهُ لعلها تجد حلاً لمسألتها، فلماذا لم يسرع الرسول ﷺ في إجابتها بدل أن يحدث بينهما الجدال؟

(ج) بما أن النبي ﷺ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ فلذا لا ينطق بشيء لم ينزل حكمُهُ من الله تعالى، ولو كان يعلم قليلاً عن ذلك، ليس عيباً على الإنسان أن يسكت في أمر لا يعلم بحكمه وإنما العيب أن يقول على أساس الهوى والجهل أو الكذب[1].

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «...ولا يستحِيَنَّ أحدٌ منكم إذا سُئِلَ عَمَّا لا يَعلَمُ أن يقول: لا أعلم، ولا يستحِيَنَّ أحدٌ إذا لم يعلم الشَّيء أن يتعلمَهُ...»[2].

وإن المرأة كانت تنتظر جواباً شافياً وطيباً يوافق فطرتها وعقلها لأنها كانت تظن حسب الظاهر بأن الله تعالى لا يمكن أن يعطي العادات الجاهلية شرعيتها الكاملة بل لابُدّ أن تعدّل بالشكل المفيد والصالح للمجتمع.

(س) لماذا وضعت العقوبة الثقيلة أمام الكلمات القليلة؟

(ج) اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً بالغاً لحفظ كيانه من التشتت والاندثار نتيجة الانفعالات الصغيرة التي قد تظهر من الزوجين، لهذا وضع العقوبة الثقيلة أمام من يريد خرق وهدم هذا السور الإلهي، فوضع عتق الرقبة أو صيام شهرين أو إطعام ستين مسكيناً لمن ظاهر زوجته، ووضع أمام الطلاق إعطاء

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٣٩.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٨٢ ح٨٢.

المهر بالشكل الكامل. قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «رب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة».

وقال عليه السلام: «اللسان سَبُعٌ لو خُلِيَ عنه عقر»

(س) كيف عَدَّل الإسلام مسألة الظهار التي كانت سائدة في زمن الجاهلية؟

(ج) تم تعديل وتهذيب هذه الحالة وذلك:

١ ـ نسف التصورات العقلية الجاهلية نحوها، بأن تصبح الزوجة أُماً لزوجها فيما إذا قال لها الزوج «أنت عليّ كظهر أمي».

فجاء قوله: ﴿**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاّ اللاّئِي وَلَدْنَهُمْ**﴾.

٢ ـ صدرت بعض الأحكام الفرعية اللازمة في عملية التهذيب والتعديل منها أنها لا تصير أماً بل هي زوجة كما في السابق ولكن لا يحق للرجل الاقتراب منها حتى يعطي الكفارة كاملةً[1].

❁ **قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾**

(س) ما سبب مجيء قوله تعالى؟

(ج) ذكرت الآية المباركة هاتين الصفتين لله (تبارك وتعالى) وذلك لتزرع الأمل في نفوس الناس، وبالأخص المذنبين، بإمكانية الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى مهما كان المنكر والذنب، مادام الإنسان باقياً على قيد هذه الحياة ولكن إذا خرج منها أو نزل به الموت فلا عفو عِندها ولا مغفرة، قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ❁ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ**

---

(١) المصدر السابق: ص١٤٥.

كَلاّ إِنهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(س) ماذا قالوا ليعودوا إليه؟

(ج) ١ ـ قالوا صيغة العقد، فعودتهم إليه بمعنى عودتهم إلى الزواج.

٢ ـ يعودون إلى الظهار بقصد نقضه وعلاجه، وسواء هذا أو ذاك فإنَّ المعنى واحد، وهو إرادة الوطء الذي حرَّموه على أنفسهم[٢].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ❖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

(س) لماذا ذُكرتِ الكفارةُ بعد الإشارة إلى عَفو الله ومغفرته؟

(ج) قال العلامة الطباطبائي تتَرَئِّ: ربما دَل هذا الأمر على أن المغفرة مشروطةٌ بدفع الكفارة[٤].

(س) لماذا جعل الله (تبارك وتعالى) كفارةَ الظهار تحرير رقبة أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً؟

---

(١) سورة المؤمنون: ٩٩.

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٤٥.

(٣) سورة المجادلة: ٤.

(٤) الميزان: ج٢٨ ص١٧٨.

(ج) إن هذه الكفارة كضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ، فإنه تعالى يريد بهذا الأمر إصلاح إيمانِ المظاهِرِ ومن جانب آخر إصلاح المجتمع، إما أن يُحرر رقبة مملوكة قبل أن يواقع زوجته أو يصوم شهرين متتابعين بدون انقطاع، فيكون بذلك قد واسى الفقراء والجياع ومن جانب آخر هذّب نفسه الطائشة وغرس فيها روح الصبر والتحمل على الأذى، أو أن يشبع ستين مسكيناً، فيكون قد ردع نفسه عملياً في عدم التورط مرةً ثانية في هذا الأمر المحظور(١).

(س) لماذا وُضِعت الكفارة بالعتق أولاً ثم الصيام ثم الإطعام، ولم تذكر بصورة أخرى؟

(ج) لَعَلَّ الله (تبارك وتعالى) بدأ بالأصعب ثم الأقل ثم الأخف والأسهل حسب القدرة والاستطاعة، وإنه تعالى لم يوجب الجمع فيها كما في بعض الذنوب الكبيرة، وذلك لكي لا يكون حرجاً على المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾(٢).

(س) هل المظاهر مُخَيّر في أداء الكفارة أم غير مُخَيّر؟

(ج) حسب الظاهر من الآيات أنها ليست تخييرية، فإن المتعين على المظاهِرِ أن يعتق رقبة على ظهاره ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقبة يعتقها لعدم وجود ثمنها لديه أو لعدم وجودها أساساً، فيصوم شهرين متتابعين ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصيام لسبب وعذر مشروع ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾.

(س) هل يمكن للمظاهِرِ إسقاط الكفارة عن ذمته؟

(ج) يمكن للكفارة أن تسقط وذلك لو أراد المظاهِر الطلاق بعد الظهار، ولا

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٤٦.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

تسقط الكفارة لمن يتصنع الطلاق، بأن يطلق لأجل التهرب من الكفارة ثم يعود، في هذه الحالة تبقى الكفارة قائمة.

عن يزيد الكناسي قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن رجل ظاهر من امرأته ثم طلقها تطليقة، فقال: إذا طلقها تطليقة فقد بطل الظهار، وهدم الظهار الطلاق، قلتُ: فله أن يراجعها؟ قال: نعم هي امرأته، فإن راجعها وجب عليه ما يجب على المظاهر من قبل أن يتماسا ولكن لو طلقها عن صدق جاز إرجاعها من دون كفارةٍ»[1].

(س) هل يمكن للمرأة أن تُظاهِرَ زوجها؟

(ج) عن السكوني، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إذا قالت المرأة زوجي عَلَيَّ كظهر أُمي فلا كفارةَ عليهما»[2] من قول الإمام عليه السلام، ومن ظاهر الآية المباركة، نجد بأن الله (تبارك وتعالى) لم يجعل لظِهار المرأة أي اعتبار لعله كمسألة الطلاق حيث لم يجعله الشارع المقدس بيد المرأة وذلك لسرعة انفعالها وتأثرها بالأمور العاطفية، بخلاف الرجل.

(س) لماذا لم تُشر الآية المباركة إلى إمكانية خيار الطلاق للرجل فيما إذا لم يرد إعطاء الكفارة؟

(ج) لعل القرآن أعَرَضَ عن التطرق إلى الطلاق، وذلك تأكيداً على ترجيح العودة، لأجل حفظ كيان الأسرة من الضياع[3].

(س) لماذا جاء قوله تعالى ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ بعد ذكره لكفارة الظهار؟

---

(١) الوسائل: ج٥ ص٥١٨، ونقلها من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص١٧٣.

(٢) المصدر: ص٥٣٤.

(٣) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٤٦.

(ج) يشير القرآن الكريم إلى مسألة علم الله «تبارك وتعالى» بجميع الأمور الظاهرية والباطنية وذلك بعد بيانه للحدود وذكره للكفارات والأوامر، وذلك لتذكير الإنسان، بأنك قد تستطيع الإفلات من المجتمع ومن الحاكم الشرعي والقانون السائد، ولكن لا يمكنك الإفلات من قبضة الله تعالى ومجازاته[1]، قال عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2].

فيُجازي الظالم ولو بعد حين، ولكنه لا يمكن له الإفلات من قبضته عز وجل قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً﴾.

❁ **قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

(س) هل تدعو الكفارة إلى الإيمان بالله ورسوله، أو لم يكن المظاهر مؤمناً من قبل؟

(ج) إنَّ المُظاهِرَ وجميع الذين يدعون الإيمان هم مُؤمنون بالله ورسوله ولكن تصدق حقيقة هذا الإيمان عند العمل والتطبيق أي عندما يضع الإنسان يده في جيبه، ليخرج مالاً يعتق به رقبة إن تمكن وإذا وُجدت أو يطعم ستين مسكيناً، أو يصوم شهرين فإنه بعمله هذا يظهر صدقه فيما ادعاه بالأمس، بينما الإيمان اللفظي الذي لا يظهر على ساحة التطبيق والعمل لا قيمة له.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ❖ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ...﴾[3].

---

(١) المصدر.

(٢) سورة الفجر: ١٤.

(٣) سورة الصف: ٢ – ٣.

(س) إذا كان الشخص غير قادر على أداء الكفارة بمختلف صورها، فهل يستطيع أن يرجع إلى حياته الزوجية السابقة بالتوبة والاستغفار فقط؟

(ج) ١ ـ يعتقد بعض الفقهاء أن التوبة والاستغفار تكفي في الكفارات. عند عدم القدرة الكافية. إلا في كفارة الظهار حيث لا تكفي التوبة وتجب الاستغفار، وذلك استناداً للحديث المنقول عن الإمام الصادق عليه السلام[1].

٢ ـ يعتقد البعض الآخر أن الاستغفار والتوبة تعوض عن الكفارة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الظهار إذا عجز صاحبه عن الكفارة فليستغفر ربّه وينوي أن لا يعود قبل أن يواقع ثم ليواقع، وقد أجزأ ذلك عنه من الكفارة، فإذا وجد السبيل إلى ما يكفّر يوماً من الأيام فليكفّر، وإن تصدق وأطعم نفسه وعياله فإنه يجزيه إذا كان محتاجاً، وإلاّ يجد ذلك فليستغفر ربه وينوي أن لا يعود فحسبه ذلك...»[2].

بعد الجمع بين الروايات، لا يستبعد في صورة عدم الاستطاعة في دفع الكفارة، أن يرجع الرجل إلى حياته الزوجية مستغفراً الله سبحانه وتعالى...[3].

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ..﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) قال العلامة الطباطبائي رحمه الله

١ ـ الآية والتي تتلوها يمكن أن تكونا استئنافاً يُبين أمر محادّةِ الله ورسوله من

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٥٥٤ ح١.

(٢) المصدر ح٤ باب٦.

(٣) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٠٦.

حيث تبعتها وأثرها.

٢ ـ يمكن أن تكونا مسوقتين لتعليل ذيل الآية السابقة التي تشير إلى النهي عن مخالفة أحكام الله ورسوله ﷺ.

فيكون المعنى: إنما أمرناكم بالإيمان بالله ورسوله ونهيناكم عن تعدّي حدود الله والكفر بها لأن الذين يخالفون الله ورسوله أُذلُّوا وأُخزوا كما أُذِلَّ الذين من قبلهم[١].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا...﴾ ولم يقل: الذين يخالفون أو يعادون الله...؟

(ج)١ ـ قال المبرد: أصل المحادة الممانعة، ومنه يُقال للحارس حداد وللممنوع الرزق محدود، وقال أبو مسلم الأصفهاني: المحادة مفاعلة من لفظ الحديد، والمراد المقابلة بالحديد سواء كان في الحقيقة أو المجاز[٢].

٢ ـ وقال البعض: إن أصل الكلمة من الحد بمعنى الفاصل، فيكون المعنى بأن هؤلاء الكفار يختارون لأنفسهم حدوداً تشريعية وعملية أخرى سواء البشرية القديمة أو المعاصرة وذلك بدلاً عن شريعة الله (تبارك وتعالى)[٣]

(س) لماذا يجب أن يذل ويخزى المخالف لله ورسوله ﷺ؟.

(ج) بما أن الله (تبارك وتعالى) هو خالق السموات والأرض وأنه الغني المطلق على لسان الجميع ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ فلذا فالله الغني العزيز الجبار لا يهدي إلاّ إلى الحق والصلاح قال تعالى ﴿قُلْ اللهُ يَهْدِي

(١) الميزان: ج٢٨ ص١٨٠.
(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٦٢.
(٣) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٥١.

لِلْحَقِّ...﴾[١]، وإنه ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ...﴾[٢].

إذاً ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاّ الضَّلالُ...﴾[٣].

فالذي يؤسس بنياناً ومنهاجاً ضالاً، بدلاً عن شريعة الله عز وجل وقانونه فإنه لا يقصد بذلك إلا العناد والطغيان والفساد، فلذا فلا بُدّ أن يُصدَّ ويُمانَع ويُذَلّ لكي تنكسر شوكته ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا..﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٦].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا..﴾

(س) متى وكيف يُكبتون؟

(ج) يُهلكون ويُذلون منذ تلك اللحظة التي قرروا فيها مواجهة الله عز وجل ومحاربته، حيث أن سُنة الله في تعامله مع خلقه أنه يعاملهم بالمثل تماماً كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا

(١) سورة يونس: ٣٥.

(٢) سورة الصف: ٩.

(٣) سورة يونس: ٣٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٥) سورة المائدة ٣٣.

(٦) سورة الحج: ٤٠.

(٧) سورة الصافات: ٣٩.

يجْزَى إِلاّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1].

وأما أنه كيف يذلهم ويخزيهم، فإن ذلك يكون عن طريق صرف وجهه الكريم عنهم ونسيانهم كما نسوا ربهم الرحيم، وتكون نتيجة هذا الصرف هي أنهم سوف ينسون أنفسهم بشكل كامل، فيعيشون في ظلمات وتخبطات دون أن يجدوا مُنقِذاً ومنفذاً سليماً يلتجئون إليه، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3].

وعندما ينسى الإنسان نفسه يعيش في حياة مظلمة خانقة، لا خير فيها قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[4].

۞ قال عز وجل: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[5]

(س) ما سبب مجيء الآية المباركة؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتعليل العذاب الذي استحقه المحاربون لله ولرسوله ﷺ حيث إنه وضع بين يدي خلقه الأدلة والبراهين الكثيرة التي تدله على الخير والصراط السوي وتحذره من مغبة الانحراف والابتعاد عن ذلك فكأنما

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٢) سورة التوبة: ٦٧.

(٣) سورة الحشر: ١٩.

(٤) سورة طه: ١٢٤

(٥) سورة المجادلة: ٤

الآية تقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

(س) ما هي الآيات البينات التي وضعها الله (تبارك وتعالى) بين يدي عباده؟

(ج) الآيات التي أنزلها الله سبحانه ووضعها بين يدي خلقه كثيرة جداً ولعل الإنسان يعجز عن عدّها، وقد أشار رب العزة إليها بقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[2].

لكن أعظم وأجلّ الآيات هي آية القرآن الكريم وآية نبينا محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام حيث جعلهم رحمة لخلقه ليهتدوا بهم إلى خير الدنيا والآخرة قال النبي الأكرم محمد ﷺ: «أنا الرحمة المهداة».

وقال ﷺ: «مثلُ أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».

(س) لماذا قال تعالى في الآية السابقة ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بينما قال في هذه الآية ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؟

(ج) إن جملة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تتناسب مع العقوبة التي وضِعت للذين يريدون الخروج عن حدود الله سبحانه وتعالى والتمرد على أوامره ونواهيه.

بينما وصف العذاب هنا بأنه مهين لأنه وُضِعَ للذين يطلبون العزةَ الكاذبة من خلال محاربة الله ورسوله ﷺ وقد ابتعدوا عن طلبها من مصدرها الحقيقي، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً..﴾[3]، فلذا فلا بد أن يهانوا في

---

(١) سورة النحل: ١١٨.

(٢) سورة يوسف: ١٠٥.

(٣) سورة النساء: ١٣٩.

الدنيا والآخرة[١].

❁ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾

(س) من الواضح أن الله سبحانه وتعالى سوف يبعث الجميع للحساب يوم القيامة فلماذا التأكيد هنا بكلمة ﴿جَمِيعاً﴾.

(ج) إن كلمة ﴿جَمِيعاً﴾ لعلها جاءت لتقول لأولئك الجمع المغرورين الذين اتفقت كلمتهم وقوتهم على محاربة الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، بأنكم وقوتكم وجمعكم المتشتت ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ سوف تقفون بين الله عز وجل فيحاسبكم على جميع أعمالكم وسوف تعلمون بأن جمعكم كان خاوياً ضعيفاً لا يستطيع دفع الضر عن نفسه، كجمع فرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[٢]، هو الذي كان يقول ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٣].

❁ قال تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾

(س) كيف ينبئهم ولماذا؟

(ج)١- من خلال الحساب قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً ❖ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[٤].

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٥٣.

(٢) سورة هود: ٩٨.

(٣) سورة النازعات: ٢٤.

(٤) سورة الإسراء: ١٣ -١٤.

٢- من خلال العذاب، حيث إنه صورة حقيقية لما عملوا، قال تعالى: ﴿وَمَا تجْزَوْنَ إِلاَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١].

وإنَّ إخبارَهم بجميع أعمالهم ليعلموا بأن ما استحقوا من العقاب والعذاب جاء نتيجة أعمالهم، وما كسبت أيديهم، ولم يأتِ اعتباطاً.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الملائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ❖ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢].

❁ قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(س) لماذا التذكير بالمنسيات، وهل ينسى الإنسان ما كسبت يداه؟

(ج) التذكير بالمنسيات لكي يكون الناس على يقين بأن الله سبحانه وتعالى كان على علم كامل بأعمالهم في الحياة الدنيا، وأنه عندما ترك الكفار في الدنيا على حالهم ما كان غافلاً عنهم ولا عاجزاً عن أخذهم بل تركهم ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٣].

وإن الكافر ينسى الكثير مما يقترف من المعاصي والسيئات وذلك لأنه كان يستحقرها ويتهاون بها[٤]، بل كان يتصورها أموراً لازمة ومفيدة لا بُدَّ من الأخذ بها، كمن ينظر إلى تعري المرأة واختلاطها مع الرجال بدون أي قيد وشرط أمراً طبيعياً لابد أن يأخذ مجاله في المجتمع بشكل كامل، نعم هذا التصور

---

(١) سورة الصافات: ٣٩.

(٢) سورة الأنفال: ٥١.

(٣) آل عمران: ١٧٨.

(٤) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٣.

يصدر من القلوب المقلوبة التي خلت من الإيمان والصلاح والتي عشش فيها الشيطان ورسخ قواعده.

(س) هل يعترف الكافر بالأعمال التي توضع بين يديه يوم القيامة وقد نسي الكثير منها؟

(ج) نعم يعترف ويصدق بها بفعل حِدَّةِ بصره وشدتِهِ وبعد أن يرى الشهود قد أحاطته من كل جانب وهي مستعدةٌ للشهادة عليه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1] عندها يتمنى لو كان تراباً كما كان قبل خَلقه أو يصير كذلك كما هو حال الحيوانات غير المكلَّفة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[3].

۞ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ..﴾

(س) ما هي النجوى؟

---

(١) سورة ق: ٢٣.

(٢) سورة النبأ: ٤٠.

(٣) سورة الكهف: ٤٩.

(ج)١ ـ قال الزجاج: النجوى مشتق من النجوة، وهي ما ارتفع ونجا، فالكلام المذكور سراً لما خلا عن استماع الآخرين صار كالأرض المرتفعة، فإنها لارتفاعها خلت عن اتصال الآخرين، ويجوز أن نجعل النجوى وصفاً فيقال: قوم نجوى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ أي هم ذوو نجوى فحذف المضاف[١].

فالنجوى هو الحديث السر الذي يدور بين اثنين أو أكثر، على غير مسمع من الآخرين، وقيل: إن القائل بالنجوى هو من يريد أن ينجي أسراره من الكشف ويبعدها عن تناول أسماع الآخرين[٢]

٢ ـ النجوى مباحةٌ إذا كانت على الخير والصلاح، وتكون واجبة إذا اضطر المؤمنون لها، فيما إذا كانوا بين الظالمين والكافرين مثلاً.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أفضل النجوى ما كان على الدين والتقى وأسفر عن اتباع الهدى ومخالفة الهوى»[٣].

٣ ـ تكون النجوى محرمة: إذا كانت آثارها لا ترضي الله ورسوله صلى الله عليه وآله كمناجاة المنافقين وكل من يريد السوء بالآخرين، وتكون محرمة أيضاً إذا سببت الأذى النفسي للآخرين. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان القوم ثلاثة فلا يتناجَ منهم اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه ويؤذيه»[٤].

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ رجلان دون الآخر حتى

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٤.

(٢) الأمثل: ج١٧ ص١١١.

(٣) ميزان الحكمة: ج١٠ ص١٥.

(٤) المصدر السابق.

يختلطوا بالنّاس، فأن ذلك يحزنه»[١].

❁ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ..﴾

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتحسيس قلوب المؤمنين بشهادة الله (تبارك وتعالى) على كل شيء، فليتجنب الإنسان خواطر السوء ووساوس الشيطان وليتحصن بتقوى الله عز وجل حيث أن علمه يحيط بجميع ما في الوجود، بل فما من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم وإنه معنا أينما كُنا[٢].

(س) قال المفسرون إن المراد من ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تعلم، فلماذا لم تُذكر بدلاً عنها؟

(ج) بما أن كل ما في السموات والأرض يشهد على أنه سبحانه حي وقيوم وشاهد وحاضر، ويتجلى للإنسان هذا الأمر عندما ينظر إلى مخلوقاته جل وعلا فيحصل له العلم، بأن الله سبحانه وتعالى يعلم بما في السموات والأرض من خلال تدبيره لشؤونها واحتياجاتها، وإلا كيف يستطيع إدارتها من دون أن يعلم بها كاملاً، فهنا لا فرق بين الكلمتين ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ و﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ إذ أن مقصودهما واحد والقرآن الكريم استخدمهما معاً، فقال في نظير آية البحث، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من هدي القرآن: ج١٧ ص١٥٧

(٣) سورة الحج: ٧٠.

وقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾[١].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ولم يقل العكس؟

(ج)١ - ربنا سبحانه وتعالى ذكر السموات أولاً، وذلك لعظمتها ولأهميتها ولشرفها على الأرض فهي أكبر من الأرض بكثير، حتى إن العلم الحديث ذكر بأن ضخامة نجمة واحدة منها قد تبلغ حداً لو أُلقي كوكبنا الأرضي فيها لضاعت كما تضيع حبةُ الرمل في الصحراء، وإنه تعالى قال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، ولم يقل ذلك عن الأرض.

يقول جورج كاموف: إن الفضاء المحيط بنا الذي يتشكل من مليارات المجرات في امتداد سريع، إن عالمنا ليس ساكناً، وان انبساطه لأمر مؤكد، ويشير هذا الأمر إلى انه كان يوماً من الأيام في وضع انقباض وتركيز شديد. وحدث فيه انفجارٌ قبل (١٥) مليارد سنة ثم بدأ يتمدد وتتسع الفجوة بين أجرامها بصورة سريعة ومنتظمة[٢].

وقد حدد بعض العلماء سرعة انبساط الأجرام وتباعدها عن بعضها بـ(٦٦) ألف كيلو متر في الثانية الواحدة[٣].

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض»[٤].

---

(١) سورة المائدة: ٤٠.

(٢) تفسير الأمثل: ج٢٣ ص٣٧٤.

(٣) المصدر: ص٣٧٣ نقلاً عن فردهويل.

(٤) ميزان الحكمة: ج٤ ح٨٠٥٨.

٢ ـ إن السماء هي موضع ومصدر رزق المخلوقات جميعاً، روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إذا فرغ أحدكم من صلاته فليرفع يديه إلى السماء ولينصب في الدعاء» فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين أليس الله في كل مكان؟ قال: بلى. قال: فَلِمَ يرفع يديه إلى السماء؟

فقال: أو ما تقرأ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فمن أين تطلب الرزق إلا من موضع الرزق، وموضع الرزق وما وعد الله عز وجل السماء[1].

۞ قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ..﴾

(س) لماذا قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى...﴾ ولم يقل: ما تكون من نجوى والنجوى مؤنث؟

(ج)١ ـ وقع فاصل بين الفاعل والمفعول وهو كلمة من، كقولك: ما جاءني من امرأة.

٢ ـ النجوى مؤنث غير حقيقي[2].

(س) لماذا جُرّ ثلاثة في قوله ﴿مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ﴾

(ج)١ ـ أن يكون مجروراً بالإضافة.

٢ ـ أن يكون النجوى بمعنى المتناجين، ويكون التقدير: ما يكون من متناجين ثلاثة، فيكون صفة[3]

(س) لماذا ذكر (تبارك وتعالى) الثلاثة والخمسة، وأهمل أمر الأربعة في

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص١٢٤.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٦٤.

(٣) المصدر.

البين فقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾؟

(ج) ذكروا فيه وجوهاً:

١ ـ فيه إشارة إلى كمال رحمة الله (سبحانه). وذلك لأن الثلاثة إذا اجتمعوا، وأخذ اثنان في التناجي والمشاورة، بقي الواحد ضائعاً وحيداً فيضيق قلبه، فيقول الله تعالى له: أنا جليسك وأنيسك وكذا الخمسة إذا اجتمعوا بقي الخامس وحيداً فريداً، أما إذا كانوا أربعة لم يبق واحد منهم فريداً، في الآية إشارةٌ إلى أنَّ كل من انقطع عنه الخلق لم يتركه الله ضائعاً وحيداً[1].

٢ ـ إن العدد الفرد أشرف من الزوج، لأن الله وترٌ ويحب الوتر، فخص الفرد بالذكر تنبيهاً إلى وجوب الرعاية الإلهية في جميع الأمور.

٣ ـ إن أقل ما يحصل به النجوى هو الثلاثة، وهكذا في العدد خمسة، فيبقى فيهم واحد كالحكم يحكم بينهم[2].

٤ ـ إنّ في عدد الوتر إمكانية التصويت أكثر مما في غيره[3].

٥ ـ انه لو ذكر العدد (أربعة) لصار في الآية تكرار، في ذكرِهِ، وهذا بعيد عن البلاغة والفصاحة، فتُرك رعاية لهما.

٦ ـ وقال البعض إن الآيات نزلت حول مجموعتين من المنافقين كان عددهم ثلاثة وخمسة[4].

(س) كيف يكون الله تعالى معهم بقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٦٥.

(٢) المصدر.

(٣) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٥٩.

(٤) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١١١.

رَابِعُهُمْ...﴾؟

(ج) المراد من كونه تعالى معهم هو أنه عالم بكلامهم وضميرهم وسرهم وعلنهم، وكأنه حاضر معهم ومشاهد لهم، وقد تعالى عن المكان والمشاهدة[١].

قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ...﴾[٢].

إذ ليس له وجودٌ محدود، إنه واحدٌ أحدي لا واحدٌ عددي.

(س) هل يمكن أن تحصل النجوى بين أربعةٍ والله تعالى معهم؟

(ج) قال عز وجل: ﴿وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، إنه تعالى خارج عن الحد زماناً وعدداً ومكاناً التي هي من صفات المخلوق[٣].

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «فإنّما أراد بذلك استيلاء أُمنائه بالقدرةِ التي ركّبها فيهم على جميع خلقه، وأنَّ فعلهم فعله»[٤].

❁ **قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج)١ ـ في الآية تحذير للذين يُسيئون استخدام النجوى كالمنافقين والمتآمرين على الحق، وكذلك الذين يؤذون الآخرين بنجواهم.

٢ ـ تحذر الآية المؤمنين أيضاً وتدعوهم إلى عدم استخدام النجوى بصورة توجب سخط الله عليهم.

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٦٥.

(٢) سورة المائدة: ٧٣.

(٣) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٥٩.

(٤) نور الثقلين: ج٥ ص٢٥٨.

٣ ـ تصلح الآية أن تكون توطئةً وتمهيداً لمضمون الآيات التالية لها[١].

عن الإمام الصادق عليه السلام: إن الله تعالى سُمي السميع لأنه لا يتناجى ثلاثة أشخاص إلا هو رابعهم.. ويسمع دبيبْ النمل على الصفا وخفقان الطير في الهواء، لا يخفى عليه خافية، ولا شيء مما تدركه الأسماع والأبصار، وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ما جلَّ من ذلك وما صغر وما كبر[٢].

❁ قال تعالى: ﴿ألم تر الذين نُهُوا عن النجوى ثُمَّ يعودون لمِا نهُوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول..﴾

(س) من هم الذين نُهوا عن النجوى؟

(ج)١ ـ سياق الآيات يدل على أن قوماً من المنافقين والذين في قلوبهم مرضٌ من المسلمين، كانوا قد أشاعو بينهم النجوى، معاداة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين، يتناجون بينهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ليؤذوا بذلك المؤمنين، وكانوا يصرون على ذلك من غير أن ينتهوا بنهي فنزلت الآيات[٣]

٢ ـ وقال الرازي: إنهم اليهود، لأنه تعالى حكى عنهم فقال ﴿**إِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ**﴾، فقد كانوا إذا أرادوا السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: السام عليك، يعنون الموت[٤].

(س) ما الذي دعا إلى منع المسلمين من النجوى؟

(ج)١ ـ الإثم: وهو الفعل الحرام كشرب الخمر، أكل الحرام، الكذب،

---

(١) الميزان: ج٢٨ ص١٨٥.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٢٥٨ ح٢١.

(٣) الميزان: ج١٨ ص١٨٥.

(٤) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٦٦.

الغش، الظن السيئ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

٢ ـ العدوان: الاعتداء على حقوق الناس.

٣ ـ مخالفة القيادة الشرعية: وكانت آنذاك متمثلة بشخصية النبي الأكرم ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾

(س) ما وجه اتصال المقطع بما سبق؟

(ج) لعلهُ جاء ليبين ما في صدورهم من نوايا خبيثة وأحقاد دفينة بسبب ما يرتكبون من آثام وعدوان ومحاربة للقيادة الإلهية.

(س) كيف كانت تحيتهم أو كيف كانوا يسلمون على النبي ﷺ؟

(ج)١ ـ كانوا يقولون: السام عليكم، بمعنى السأم، أي أنك يا رسول الله سوف تسأم وتضجر من رسالتك.

٢ ـ أو السام بمعنى الموت عند اليهود.

٣ ـ أو كانوا يقولون (أنعم صباحاً، وأنعم مساءً) وهي تحية الجاهلية ولا زالت مستخدمة إلى يومك هذا.

٤ ـ إنهم كانوا يسلمون عليه بصفة شخصية، دون أن يعترفوا بقيادته الرسالية، كقولهم: (السلام عليك يا أبا القاسم).

(س) في رواية عن عائشة، أن النبي ﷺ كان يرد تحيتهم بكلمةِ (وعليكم) أي بالمثل، فكيف يصح منه ﷺ ذلك، بينما يذكر التاريخ بأن الأئمة الأطهار عليهم السلام ما كانوا يردون السلام على مبغضيهم بالمثل، حيث ورد أن

---

(١) سورة الحجرات: ١٢.

شخصاً كان يشتم الإمام الصادق عليه السلام وكان الإمام يغض عنه، فقال الشخص: إياك أعني، فقال الإمام: وعنك أُغضي!؟.

(ج) إن الذين كانوا يُسيئون للنبي صلى الله عليه وآله ويدعون عليه بالموت ما كانوا مسلمين، فإما يهود أو منافقين، ولو كانوا مسلمين ما كان يجيبهم بالمثل بل كان يدعو لهم بالهداية والصلاح، كما كان يدعو للجاهلين من قريش لعلهم يهتدون، والأئمة الطاهرون عليهم السلام كانوا يغضون ويحلمون على مبغضيهم، لعله يصلح شأنهم ويرجعوا عن مواقفهم الخاطئة.

❁ **قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾**

(س) كيف هي تحيةُ الله (تبارك وتعالى) لرسوله صلى الله عليه وآله؟

(ج) تحية الله لرسول الكريم صلى الله عليه وآله ولجميع المرسلين هو السلام، قال تعالى **﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾**، وقال **﴿وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾** كما الملائكة تسلم على المتقين وتستقبلهم بكل حفاوة وتكريم ساعة دخولهم الجنة، قال تعالى **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾**[1].

❁ **قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**

(س) لماذا الإخبار بما في نفوسهم؟

(ج) لعل في الآية إشارة إلى أن هذه الحالة موجودةٌ في نفوس الكثير من الجهال وضعيفي الإيمان، حيث يطلبون سرعة نزول العذاب والغضب الإلهي

---

(١) سورة الزمر: ٧٣.

عليهم، جراء كفرهم وتمردهم على الحق، ويتخذون عدم حلول العذاب عليهم ذريعة لسلامة مواقفهم وأعمالهم الشاذة، الآية المباركة تبطل هذا الرأي الخاطئ وتقول بأن الله تعالى يُمهل ولا يُهمل، الآية المباركة نظير قول الذي طلب نزول العذاب عليه، عندما سمع من النبي ﷺ بولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه هو الخليفة على المسلمين من بعده، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحُقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

❁ قال تعالى ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

(س) ما أهمية مجيء قوله تعالى؟

(ج) جاءت الآية لتقول: إن تقدم العذاب إنما يكون بحسب المشيئة، أو بحسب المصلحة فإذا لم تقتض المشيئة تقديم العذاب، ولم يقتض الصلاح ذلك، فالعذاب في القيامة كافيهم في الردع عما هم عليه[2].

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) كما ذم الله تعالى اليهود والمنافقين على التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ، نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقتهم، فقال (لا

---

(١) سورة الأنفال: ٣٢.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٦٧.

تتناجوا بالإثم) ما يضركم (والعدوان) ما يؤدي إلى ظلم الآخرين، (ومعصية الرسول)، وأمرهم أن (وتناجوا بالبر) وهو خلاف العدوان، وبالتقوى وهو ما يتقي به من النار من فعل الطاعات وترك المعاصي، ومتى ما كانت النجوى مصاحبة لهذه الأمور فإنها سوف تقل كثيراً، ويكون الكلام بشكل علني، ومتى كانت النجوى مصحوبة بالبر والتقوى لا يجد أحد أذى منها[١]، قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ..﴾[٢].

(س) ما هو الفرق بين البرِ والتقوى؟

(ج) البر هو الحق والإحسان والأفعال الخيرة المرضية عند الله (تبارك وتعالى) وهو نقيض الإثم، والتقوى نقيض العدوان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٣][٤].

(س) ما أهمية التناجي بين المؤمنين؟

(ج)١ ـ على الصعيد الاجتماعي، قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانيةً فقد شانه»[٥].

٢ ـ على الصعيد الاقتصادي: إنَّ إيصال الصدقات والخيرات إلى مستحقيها بشكل سري يحفظ كرامتهم وسمعتهم فهو أفضل مما لو صار بشكل علني، قال

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٦٧.

(٢) سورة النساء: ١١٤.

(٣) سورة المائدة: ٢.

(٤) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٦٦.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٧٤.

تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...﴾[1].

٣ ـ على الصعيد السياسي: لابد أن يكون العمل وفق خطط استراتيجية يحيطها الكتمان والسر في مواجهة الظالمين والمستعمرين والأنظمة الطاغوتية[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

(س) لماذا جاء الأمر بالتقوى بعد أن بيَّنَ شروط النجوى؟

(ج) إنها الحقيقة التي يحتاجها المؤمن بشكل دائم ومستمر لكي يبقى سالماً وصالحاً في سيره إلى الله (تبارك وتعالى)، إذ إن الإحساس بوجود الله عز وجل وشهادته على الأمور وإنه سيجازي على كل صغيرة وكبيرة هو الضمان الوحيد في توفيق الإنسان نحو الخيرات ونبذ الوساوس والخلافات، وإنه الرادع الذي يحفظه من الوقوع في المعاصي والسيئات.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ..﴾

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ مع قوله ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾؟

(ج) الألف واللام في كلمة النجوى لا يمكن أن تكون للاستغراق، لأن في النجوى ما يكون من الله ولله، بل المراد منه المعهود السابق وهو النجوى بالإثم والعدوان، تلك النجوى التي تسبب الحزن للمؤمنين والتي تفرح الشيطان

---

(١) سورة النساء: ١١٤.

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٦٦.

الرجيم فالنجوى السلبية المبنية على أساس الهوى والمصالح المادية وأذى الآخرين هي المرفوضة من قبل الله عز وجل في حين أن النجوى الصالحة مطلوبة ومقبولة من قبله تعالى.

ولعل الآية تدل على أن الأصل في النجوى الكراهية، لأنها مظنة التهمة والغيبة ولأن الشيطان يكون عندها أقوى من الحالات الأخرى، من هنا يحسن التجنب عنها إلا عند الحاجة[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

(س) ما سبب مجيء قوله تعالى؟

(ج) جاءت الآية لتطيب قلوب المؤمنين، بتذكيرهم أن الأمر إلى الله سبحانه وأن الشيطان أو التناجي لا يضرهم شيئاً إلا بأذن الله، فليتوكلوا عليه ولا يخافوا ضَرَّه، وقد قال في كتابه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2]، وإنه تعالى استنهض المؤمنين في ذلك لأنه من دواعي ولوازم الإيمان.

(س) هل يمكن لله تعالى أن يأذن في تضرر المؤمنين من النجوى السلبية؟

(ج) لعله يأذن وذلك عندما تقع الأمة في غمرات الصراع أو السبات أو توافه الأمور، فالأمة المؤمنة الصادقة والساعية في سبيل الله سبحانه، لا يضيع الله جهودها بل يثبتها على الصراط المستقيم ويمنع عنها مكائد الشيطان في جميع الأحوال والأمور، ولن يتضرروا من التناجي الذي يرونه أمامهم، وذلك لقوة قلوبهم وإيمانهم بالله عز وجل.

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٦٧.

(٢) سورة الطلاق: ٣.

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا...﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) لما نهى الله تعالى عباده المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض والتنافر أمرهم الآن بما يصير سبباً لزيادة المحبة بينهم، بأن يوسع بعضهم للآخر في المجلس أو أن يقوم إذا اقتضى الأمر ذلك[1].

فالآية تذكر أدباً آخر من آداب المجلس، حيث إذا قدم شخص تواً فإن المفروض من الحاضرين أن يجلسوا بصورة يفسحوا فيها مجالاً للقادم كي لا يبقى في حيرة وخجل، إذ لكل قادم كرامة، ويكون في هذه الحال أحوج للجلوس من الجالس في المجلس، وذلك إما لتعبه أو لكهولته، أو للاحترام الخاص الذي يوجب له، أو لدهشته فإنه ينتظر احترام الآخرين وتقديرهم له مع دخوله، لكي يشعر بقيمته وكرامته، وبما أن المؤمن عزيزٌ عند الله (تبارك وتعالى) لذا يجب أن يكون عزيزاً أيضاً عند إخوانه المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾[2].

(س) ما هي صور التفسح في المجلس؟ أو: كيف يتمكن المؤمن من أن يتفسح في المجلس للآخرين؟

(ج)١ ـ إعطاء صدر المجلس لمن هو أهل ذلك.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا يجلس في صدر

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٦٨.

(٢) سورة المنافقون: ٨.

المجلس إلا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله؛ فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق»[١]

٢ ـ أن يوسع للداخل ويتزحزح: دخل رجل المسجد والنبي ﷺ جالس، فتزحزح له، فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله! فقال ﷺ: إن حق المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح[٢].

٣ ـ عدم تطويل الجلوس، لاسيما إذا كان المكان صغيراً والواردون كثيرون، كان ابن عباس (رضوان الله عليه) إذا أطال شخصٌ الجلوس عنده يقرأ قوله تعالى ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[٣].

٤ ـ عدم إطالة النظر في وجوه الجالسين، حيث روي: كان نظر رسول الله ﷺ اللمح.

٥ ـ عدم النظر إلى عيوب الآخرين. قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من نظر إلى عيب نفسه أشتغل عن عيوب الآخرين».

(س) إن مسألة التفسح من الأمور الاجتماعية البسيطة، لماذا أشار الله إليها في كتابه العزيز؟

(ج) تطرق القرآن الكريم الذي هو دستور ومنهاج المسلمين إلى يوم القيامة حول المسائل الأساسية في حياة الإنسان، كذلك تحدث حول المسائل الأخلاقية

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٦.

(٣) سورة الدخان: ١٢.

الجزئية التي تدعو إلى الترابط الاجتماعي[١]، وهذه الأمور لا يمكن غض النظر عنها وإهمالها، لأنها قد تؤدي إلى نتائج وخيمة تشمل الجميع، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «رُبَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة»[٢].

ولهذا نرى القرآن الكريم يشير إلى جميع الأمور الأخلاقية المرتبطة بالإنسان فقال عن كيفية المشي: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[٣].

وعن درجة ارتفاع الصوت قال تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٤].

وعن مقدار الأكل والشرب قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾[٥].

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا..﴾

(س) لماذا قال تعالى ﴿..فَافْسَحُوا..﴾ ولم يقل فتفسحوا؟

(ج) إن كلمة تفسحوا من باب التفعُّل وفيها نوعٌ من التكليف. أما ﴿فَافْسَحُوا﴾ فإنها ليست كذلك[٦]، من هنا يفهم من الآية المباركة معنى لطيف ودقيق جداً وهو أنه لو قال قائل للجالسين تفسحوا للشخص القادم لكم،

(١) الأمثل: ج١٨ ص١٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

(٣) سورة لقمان ١٨ — ١٩.

(٤) سورة لقمان: ١٩.

(٥) سورة الأعراف: ٣١.

(٦) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٢٢.

فإنهم سوف يتفسحون له بدون أي تكليف ومشقة بل يجدون من ذلك اللذة والسعادة، من تقديرهم واحترامهم للقادم، إذ إنه في كل الأحوال بشر مثلهم، ولهذا نرى الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام يوصي مالك الأشتر (رضوان الله عليه) عندما جعله والياً على مصر بقوله: «ولا تكونَنَّ عليهم سَبْعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[1].

(س) هل التفسح محصور بالمجلس؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره: واعلم أن هذه الآية دلت على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، . وإدخال السرور في قلبه، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الله في عون العبد مازال العبد في عون أخيه المسلم»[2].

❁ قال تعالى: ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾

(س) متى يفسح الله عز وجل لعبده إذا تفسح للآخرين؟

(ج) قال بعضهم بأن الله تعالى سوف يوسع عليه في الجنة، جزاء لرعايته للآداب ولحقوق الآخرين.

وقال أغلب المفسرين: بما أن الآية مطلقة ليس فيها قيد وشرط لذا تشمل كل سعة إلهية سواء أكانت في الآخرة أو في الدنيا أو في الروح والفكر أو في العمر والمال والأولاد أو غير ذلك من نعم الله عز وجل، إذ إنَّ جزاء الله

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٦٩.

وعطاءه يكون على وفق مقياسه وكرمه وفضله الكبير، حيث يعطي الكثير جزاءً للعمل الحسن الصغير الذي يصدر من العبد[١].

❁ قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ..﴾

(س) ما هو النشز؟ ولماذا جاء الأمر به بعد التفسح؟

(ج) لفظ النشز يحتمل وجوهاً في الآية:

١ ـ إذا قيل لكم قوموا للتوسعة على الداخل فقوموا.

٢ ـ إذا قيل قوموا من عند رسول الله ﷺ ولا تطولوا في الكلام فقوموا، كما قال تعالى: ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ...﴾

٣ ـ إذا قيل لكم قوموا إلى الصلاة وأعمال الخير والجهاد، قوموا ولا تتثاقلوا[٢].

وبما أن الآية مطلقة لذا يمكن أن تشمل هذه الأمور أيضاً.

و﴿انْشُزُوا﴾ مأخوذة من (نشز) وتطلق على الأرض العالية، واستعمل هذا المصطلح أيضاً بمعنى القيام، والمرأة الناشز هي المرأة التي تعتبر نفسها أعلى من أن تطيع أمر زوجها[٣].

وقد جاء الأمر بالنشز بعد التفسح، وذلك لضرورته إذا لم يكن هناك محل لجلوس القادمين.

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٢٣.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٧٠.

(٣) الأمثل: ج١٨ ص١٢٣.

﴿ قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتنفي مقاييس التفاضل المادية والدنيوية الأخرى ولتقول بأن الكفاءة الحقيقية والفضل لأصحاب الإيمان الذين يطيعون الله ورسوله، ولأصحاب العلم، وأنهم أولى بالتقدير والتكريم والخير في الدنيا والآخرة، وتقول الآية الكريمة بأن الله تعالى يرفع المؤمنين الذين يطيعون أوامر الرسول ﷺ، والعلماء بشكل خاص درجات، وإنَّ الرسول ﷺ إذا أمر بالتفسح بالمجلس أو أمر بالقيام وإعطاء أماكنهم للقادمين، فإنه لهدف الهي مقدس وهو احترام أهل الإيمان والعلم، لا لأجل أمور دنيوية زائلة لا قيمة لها[1].

(س) لماذا خصت الآية العلماء بالذكر بصورة مستقلة؟

(ج) روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه: «اتصل بأبي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام أن رجلاً من فقهاء شيعته كَلَّمَ بعض النصاب فأفحمه بحجته حتى أبان عن فضيحته، فدخل على علي بن محمد عليه السلام وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب، وهو قاعد خارج الدست (لعله مقعد مجلل) وبحضرته خلق من العلويين وبني هاشم، فما زال (الإمام) يرفعه (الفقيه) حتى أجلسه في ذلك الدست، وأقبل عليه فاشتد ذلك على أولئك الأشراف، فأما العلويون فأجلوه عن العتاب، وأما الهاشميون فقال له شيخهم: يا بن رسول الله! هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبيين والعباسيين؟

(١) تفسير الأمثل: ص١٢٤.

فقال عليه السلام: إياكم وأن تكونوا من الذين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، أترضون بكتاب الله عز وجل حكماً؟ قالوا بلى: قال: أليس الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿..وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يُرفَع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلا أن يُرفَع على مَن ليس بمؤمن، أخبروني عنه قال: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ أو قال: يرفع الله الذين أوتوا شرف النسب درجات؟ أو ليس قال الله عز وجل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾؟ فكيف تنكرون رفعي هذا لما وفقه الله؟! إنَّ كسر هذا فلان الناصب بحجج الله التي علمه إياها لأفضل له من كل شرف في النسب[١].

❁ قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ..﴾

(س) هل الدرجة متساوية بين المؤمنين والعلماء في الآية المباركة؟

(ج) قال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٢]، ولا شك أن المراد من الذين أوتوا العلم هم العلماء المؤمنون لذا فالآية تدل على انقسام المؤمنين إلى طائفتين: مؤمن ومؤمن عالم، والمؤمن العالم لا شك أفضل من غيره. قال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[٣].

---

(١) الاحتجاج: ج٢ ص٤٥٥.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) القرطبي: ج٩ ص٦٤٧.

وعن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة»[١].

(س) لماذا قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؟

(ج) وذلك للإشارة إلى كيفية تعامل المؤمنين مع التعليمات الإلهية منها آداب المجلس، فمنهم من يلتزم ويطيع الأوامر عن طيب نفس وإيمان كامل ومنهم من يلتزم عن كراهية أو للرياء والسمعة، وبما أن الله تعالى يعلم بما في النفوس، لذا فالجزاء على النية لا على ظاهر العمل فمن كان عمله لله (سبحانه) جازاه الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة، ومن كان عمله لغير الله تعالى فلا يرى من عمله خيراً أبداً.

قال تعالى: ﴿قل هل نُنَبِئكم بالاخسرين أعمالاً الذين ضَلَّ سَعيُهُم في الحياة الدُنيا وَهُم يحَسَبُونَ أَنَّهم يحسنون صُنعاً﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾

(س) لماذا الصدقة؟

(ج)١ ـ لتعظيم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيم مناجاته، فإن الإنسان إذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه، وإن وجده بسهولة استحقره[٣].

٢ ـ لنفع الفقراء بالصدقة المقدمة، حيث كان أكثر المتناجين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأغنياء، فلكي لا يشعر الفقراء بالغبن من تقرب الأغنياء من النبي دونهم

---

(١) مجمع البيان: ج٩ ص٢٥٣.

(٢) سورة الكهف: ١٠٤.

(٣) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٧١.

لهذا فرض عليهم صدقة لمصلحتهم.

٣ ـ في الصدقة إشارة لأولئك الذين كانوا يزاحمون النبي ﷺ لأجل أمور خالية من النفع أو لأجل التفاخر، بأن هذا الأمر غير مرضي عند الله ورسوله ﷺ، وبالفعل أدرك الكثير هذه الحقيقة.

٤ ـ إن وقت الرسول للأمة كلها، فعلى من يستغله أن يدفع ضريبة لصالح الأمة وسترجع الصدقة للصالح العام وليس للرسول ﷺ[١].

(س) ما هو مقدار الصدقة؟

(ج) قال الفخر الرازي: روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله ﷺ فقال «ما تقول في دينار؟ قلت لا يطيقونه، قال كم؟ قلت حبة أو شعيرة قال إنك لزهيد» والمعنى إنك لقليل المال فقدرت على حسب حالك[٢].

(س) هل حُرم الفقراء من النجوى مع النبي ﷺ بسبب عدم امتلاكهم لما يتصدقون به؟

(ج) قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيه دلالة على أنه تعالى رفع ضريبة الصدقة عن الفقراء، فكانوا مسموحين بالنجوى من دون دفع الصدقة.

(س) عندما أُمر المسلمون بالصدقة قبل النجوى، هل هناك من طبق الآية كما أراد الله سبحانه وتعالى؟

(ج) قال الرازي في تفسيره: روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: إن في

---

(١) تفسير من هدي القرآن: ج١٥ ص١٧٣.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٧٢.

كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي،٠كان لي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكلما ناجيت رسول الله ﷺ قدمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد[1].

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه قال: «كان لعلي عليه السلام ثلاثة! لو كانت فيَّ واحدةٌ منهن لكانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة عليها السلام، وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى»[2].

۞ **قال تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ..﴾**

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) يظهر أن جميع الذين كانوا حريصين على كثرة المناجاة مع النبي ﷺ تركوا ذلك خوفاً من التصدق والإنفاق للصالح العام. في الآية عتاب شديد لهؤلاء الصحابة، فلم يناج الرسول ﷺ أحداً إلا الإمام علياً عليه السلام فإنه ناجاه عشر نجوات وتصدق معها عشرة دراهم ثم نزلت الآية ونسخت الحكم.

(س) لماذا قالت الآية المباركة ﴿..صَدَقَاتٍ﴾ ولم يَقُل صدقة؟

(ج) لم يَقُل صدقة لأن بعض المسلمين كانوا يكثرون من التناجي مع النبي ﷺ مما يستلزم منهم الصدقات الكثيرة، لهذا قال صدقات ولم يقل صدقة[3].

(س) كم بقيت مدة حكم الصدقة قبل النجوى ثم نُسِخَت؟

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٧١.

(٢) تفسير روح المعاني: ج٦ ص٤٠٦.

(٣) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٧٥.

(ج) ذكر بعضهم: بقيت ساعة واحدة، وقال آخرون: كانت ليلة واحدة، وذكر بعضهم الآخر: إنها عشرة أيام، إلا أن الأصح هو القول الثالث، لأن الساعة والليلة لا تكفي لمثل هذا الامتحان الذي فشل فيه الكثير ممن يدعي الإسلام والجهاد، لأن المدة القصيرة يمكن وضع الاعتذارات الواهية لها، ولكن في فترة عشرة أيام يظهر المسلم الصادق من الكاذب[1].

۞ قال تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ...﴾

(س) كيف عالج الله تعالى حالة الضعف الروحي والازدواجية التي ظهرت عند المسلمين عندما امتحنوا بالتصدق قبل النجوى؟

(ج)١ ـ نسخ فريضة الصدقة عند النجوى.

٢ ـ أرجع المسلمين إلى الواجبات الأساسية التي تنمي فيهم حالة الإيمان وعبادة الله (تبارك وتعالى) وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله.

(س) لماذا نرى القرآن الكريم يؤكد على هذه الأمور الثلاثة في أكثر السور القرآنية دون غيرها من الأوامر والنواهي الإلهية؟

(ج) إن صلاح وبناء المجتمع السليم يتحقق بفعل صلاح الإنسان وكماله، وتظهر حقيقة سلامة الإنسان فيما إذا تطهر باطنه واستقامت أعماله وعلاقته مع الآخرين، فالتطهير الباطني يتحقق بإقامة الصلاة، ولهذا قال عز وجل **﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾**، وتصلح أعمال الإنسان إذا أحس بمسؤوليته إزاء الآخرين لذا قال تعالى **﴿وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾** ويتجلى كمال هذين الأمرين إذا أطاع الله

---

(١) الأمثل: ج١٨ ص١٣٣.

ورسوله في كل ما أمر ونهى فقال عز وجل ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾.

❁ **قال تعالى: ﴿..فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ..﴾**

(س) نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «... أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر...» من هذا يظهر بأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ليست من الأمور البسيطة التي يمكن الإتيان بها، فالذي استطاع إقامتها هو الإمام المعصوم عليه السلام، ونشهد له بذلك تعظيماً لشخصيته، فكيف تأمرنا الآية بإقامة الصلاة ولسنا بقادرين عليها؟

(ج) ربنا سبحانه وتعالى لا يطلب من عباده أداء الصلاة والإتيان بالعبادات الأخرى وهي خالية من المعنى والجوهر والتأثير في النفس، إن الهدف من العبادات هو إيجاد التغيير والتحول في النفوس نحو الأفضل والأكمل، فالصلاة المطلوبة من الإنسان هي التي تلعب دوراً في نهي المصلي الفحشاء والمنكر قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، لذا فإن إقامة الصلاة أمر مطلوب من الإنسان، وإنه خُلق لذلك، فعليه أن يجعلها الهدف والمقصد من حياته ويسعى إلى تحقيق ذلك بمقدار ما يتمكن و﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1].

❁ **قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) الآية المباركة تفضح جانباً من تآمر المنافقين، وقد جاء هذا الكلام بعد

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

آية النجوى، يتضح لنا أن قسماً من الذين كانوا يناجون النبي ﷺ هم منافقون وكانوا يقصدون من ذلك التظاهر بمحبة الرسول، بينما كانوا يخفون في صدورهم الحقد والتآمر على الرسول والإسلام[١] قال تعالى: **﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾**[٢].

(س) ما هو الدليل على أن المغضوب عليهم هم اليهود؟

(ج) أشار القرآن الكريم في كثير من آياته إلى أنهم هم اليهود، منها قوله: **﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾**[٣].

(س) ما أهمية الحديث عن المنافقين وذهابهم إلى اليهود؟

(ج) يتصور الكثير بأن الالتزام بالأمور الظاهرية للإسلام من صلاة وصوم وحج يكفي للإنسان، وأنه قد أدى الواجب الملقى على عاتقه القرآن الكريم يرفض هذه الفكرة ويعتبرها ناقصة بل يعتبر صاحبها ممن آمن ببعض وكفر ببعض، آمن بالأمور التي تجلب له النفع وكفر بالأمور التي تثبت حقيقة إيمانه وصدقه، منها التولي لأولياء الله والتبري من أعدائه، وما أكثر هذه الحالة اليوم، حيث نجد أنصارها كثيرين وفي كل مكان، وهي ليست إلا صورة من صور النفاق، فأصحاب هذا الخط يمدون أيديهم إلى أعداء الإسلام ويربطون مصيرهم وسعادتهم بهم، وذلك لأجل الاحتفاظ بمناصبهم وأرصدتهم في البنوك، دون أن يفكروا هل بقي شيء من أحكام الإسلام أم لا، هل عاش

---

(١) الأمثل: ج١٨ ص١٣٤.

(٢) سورة الكهف: ١٨.

(٣) سورة المائدة: ٦٠.

الآخرون بخير أم لا ، وقد بين القرآن الكريم أهمية هذا الموضوع في آية أخرى ، حيث قال تعالى : ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾[1].

(س) لماذا قال تعالى عن الذين يتعاملون مع اليهود ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ..﴾؟

(ج) إنه إعلان واضح من الله تبارك وتعالى للذين يتعاملون مع أعداء الإسلام والمسلمين بأنهم ليسوا مسلمين وإن تظاهروا بذلك كثيراً بمثل بناء المساجد وطبع القرآن الكريم ونشرها بين المسلمين ، وتشير الآية بأن هذه الأمور غير مقبولة عند الله عز وجل وأن الذي يقوم بها لا يؤجر بالآخرة ، لأنه ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ أي ليس بمسلم ، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ، كما أن اليهود لا يقبلون بعنصريتهم أن ينتمي إليهم أحد ولا يثقون به ، ولهذا قال تعالى ﴿..وَلاَ مِنْهُمْ﴾ ، كذلك القوى الاستكبارية فإنها تنظر إلى عملائها على أنهم ليسوا سوى كلاب تحمي مصالحهم ، ومتى ما أنهوا مهمتهم معهم ووصلوا إلى ما يريدونه أبدلوهم بكلاب آخرين لتدافع عن مصالحهم[2].

(س) كيف يعرف المسلمون بأن هذه الجماعة متحالفة مع اليهود وعميله لهم؟

(ج) إن العمالة أو الولاء لأي جهة من الجهات إنما تظهر وتتحقق بأمرين :

١ ـ بالقلب حباً.

٢ ـ بالعمل طاعة ، فإذا توفر أحد هذين الأمرين فقد تحقق الولاء وترسخت

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢.

(٢) من هدي القرآن : ج١٥ ص١٨٢.

قواعده إن لم يكن عاجلاً فآجلاً، وهذا ما نراه واضحاً في الكثير ممن يدعي الإسلام والعدالة والحرية[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

(س) لماذا الحلف؟

(ج) إنهم يقسمون مثلما يدعون ويتظاهرون كذباً لعلهم يصلون إلى ما يهدفون، وهم يعلمون بأنهم خارجون من دائرة الإسلام والمسلمين، وإن الحلف الكاذب والتظاهر الماكر من وسائل التضليل التي يستخدمها المنافقون للستر عن وجوههم الشيطانية وعن نواياهم الخبيثة ضد المصلحة الإسلامية العامة، وما أكثر هذه النفوس والخطوط الشيطانية في مجتمعاتنا الإسلامية.

(س) إذا يعتبر المنافق مسلماً ولا يهودياً، فماذا هي حقيقته ومع من يحشر؟

(ج) بما أن المنافقين مذبذبون بين الكفر والإيمان، قال تعالى ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ﴾[2]، فهم في الحقيقة ملحقون بهم[3]، لأنهم مالو إليهم بقلوبهم ليأمنوا حياتهم الدنيوية ويحافظوا على مناصبهم وما يملكون من أموال ومتع زائلة، ولهذا قال تعالى في سورة المائدة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ولا منافاة بين الآيتين.

۞ قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾

(س) ماذا استفادوا من حلفهم الكاذب؟

(ج)١ ـ دفعوا بفعل حلفهم الكاذب عن نفوسهم التهمة وظن السوء، كلما

---

(١) المصدر.

(٢) سورة النساء: ١٤٣.

(٣) الميزان: ج٢٨ ص١٩٣.

ظهر منهم أمرٌ يريب المؤمنين[١].

٢ ـ حافظوا على أنفسهم من أن يقتلهم المسلمون، فلما أمِنوا القتل اشتغلوا بصد الناس عن الدخول في الإسلام وذلك بإلقاء الشبهات في القلوب وتضعيف طبيعة الإسلام[٢].

٣ ـ حافظوا على شهواتهم وملذاتهم ومناصبهم بفعل مكرهم وكذبهم واستطاعوا خداع الكثير من الجهال والبسطاء الذين تخدعهم المظاهر والأبواق.

٤ ـ أبعدوا عن أنفسهم الذل والفضيحة والخزي عند عامة المسلمين، ولذلك فهم يستحقون العذاب المهين بما كانوا يركضون وراءهُ من العزة الكاذبة.

۞ قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

(س) ما هو السبيل الذي صدوا عنه؟

(ج) صدُّوا عن القرآن الكريم بصورة عامة، إذ إنه هو السبيل الذي يدعو الإنسان إلى الحرية والخير والاستقلال. قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حُرّاً».

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾[٣].

۞ قال تعالى: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(س) لا شك أن الأموال والأولاد لا تنفع الكافر يوم القيامة ولا تدفع عنه شيئاً من العذاب، ولكن هل أغنتهُ في الدنيا؟

---

(١) المصدر.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٧٤.

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

(ج) إن المال قد ينفع صاحبه ويجلب له شيئاً من اللذائذ والمتع الدنيوية ولكن لا يمكن أن يجلب له السعادة، إذ إن السعادة الروحية والقلبية لا تحصل بالأموال ولو كثرت، قال عز وجل: ﴿أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، فكم من غني يملك الأموال والعقارات ولكنه غير سعيد، وكم من فقير لا يملك سوى قوت يومه ولكنه مرتاح القلب بفعل علاقته بالله سبحانه وتعالى والتزاماته الدينية.

قال الإمام علي عليه السلام: «ألا وإنَّ من النعم الغنى، وأفضل من الغنى سلامة البدن، وأفضل من سلامة البدن سلامة القلب»[1].

❁ **قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾**

(س) لماذا يحلفون؟

(ج) يحلفون ظناً منهم بأنهم سوف يصلون إلى بعض النتائج المرضية لهم كما كانوا في الحياة الدنيا، عن ابن عباس: إن المنافق يحلف لله يوم القيامة كذباً كما كان يحلف لأوليائه في الدنيا كذباً، فمثلاً يقول: (والله ربنا ما كنا مشركين)، (ويحلفون بالله إنهم منكم)[2].

وقال أكثر المفسرين: يبعث الإنسان يوم القيامة بكامل خصائصه النفسية والسلوكية التي كان عليها في حياته الدنيا، وإنه لا يبعث بجسمه وحسب، بل مع جميع طبائعه وصفاته الدنيوية، فإذا كان كاذباً يبقى على كذبه ولكنه لا ينفعه ذلك لأن الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٧٤.

بل وتختم أفواههم بعدها فتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم بأعمالهم، والمنافقون يبعثون بوجهين وذلك لازدواجية شخصيتهم في الدنيا[١].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ وبين وإقرارهم الذي يؤخذ منهم يوم القيامة واعترافاتهم، كقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً..﴾؟

(ج) توجد يوم القيامة محطات ومواقف مختلفة، وفي كل محطة برنامج خاص، يختلف عن الآخر[٢].

ولعل حلفهم هذا يكون في المحطات الأولى من الحساب، والعذاب لم ينزل بعد على داخليها بالشكل الكامل.

❁ قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾

(س) ما الذي يدعو الإنسان إلى الانزلاق نحو بؤر الحضيض والنفاق ثم الخسران المبين في الدنيا قبل الآخرة؟

(ج) إنه الضعف والاستسلام لإغراءات الشيطان وأساليبه، والإطاعة الكاملة لرغبات النفس الأمارة بالسوء، ثم ترجيح الشهوات العاجلة على ما عند الله تعالى، وليس الشيطان هو إبليس فحسب، بل هو كل من يدعو إلى الابتعاد عن الله تعالى، كعلماء السوء والأنظمة الظالمة وغير ذلك، ويجد الشيطان سبيله في العمل والوسوسة عندما يجد قلب الإنسان خالياً من التعلق

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٨٦.

(٢) الأمثل: ج١٨ ص١٣٧.

بالله (تبارك وتعالى)[١].

(س) ما هي نتائج تسلط الشيطان؟

(ج)١ ـ نسيان الله (سبحانه) ولهذا قال عز وجل: ﴿فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ﴾

٢ ـ الوقوع في حبائله والانضمام تحت لواءه ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾

(س) ما أهمية ذكر الله عز وجل؟

(ج) قال الإمام الصادق عليه السلام: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيدنا لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وبكذا، قال لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال لست لها، فقال الوسواس الخناس، أنا لها، فقال بماذا؟ قال: أعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة»[٢].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾

(س) لماذا عُد الذي يخالف الله ورسوله في جملة أذل خلق الله؟

(ج) بما أن العزة الحقيقية هي لله (تبارك وتعالى) وأنه أعطى منها إلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلى من ارتبط به قلباً وقالباً، فلذا لا يمتلك أعداء الله شيئا من العزة الحقيقية لمخالفتهم الحقَّ وأتباعهم الباطلَ.

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص١٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٣ ص١٩٧.

(س) لماذا يسعى المسلمون الضعفاء إلى تعميق علاقاتهم مع الكفار؟

(ج) إن خواء القلب من نور الله سبحانه وتعالى وطاعته ثم الإحساس بالضعة والحقارة هو الذي يدفع المستسلمين إلى الارتباط بالكفار في جميع أبعاد الحياة، بحثاً عن القوة والعزة والكرامة، ولكن بما أن فاقد الشيء لا يعطيه، فمن أين يمكن لهم الحصول على العزة وهم لا يمتلكون شيئا منها. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾

(س) ما وجه ارتباط الآية بما قبلها؟

(ج) كان الحديث في الآية السابقة عن الذين يتولون أعداء الله عز وجل لأجل تحقيق بعض المكاسب المادية في هذه الحياة فجاءت الآية المباركة لتبين بأن هؤلاء سوف لا يصلون إلى أي مكسب ونصر حقيقي وهم بعيدون عن الحق وأهله فإذا ما حققوا شيئاً من الانتصار فإنه واهٍ وزائل، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2].

(س) لماذا هذه التأكيدات الكثيرة؟

(ج) في الآية المباركة تأكيدات وهي: ١ ـ الفعل (كَتَبَ)، ٢ ـ لام التوكيد، ٣ ـ النون في (لأَغْلِبَنَّ)، ٤ ـ الضمير المنفصل (أنا)، جاءت لكي تبعث الاطمئنان

---

(١) سورة النساء: ١٣٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٢.

الكامل في قلوب المؤمنين بأن النصر الإلهي سوف يكون لهم رغم التحديات والصعوبات وفي جميع الظروف والحالات[(١)].

قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[(٢)].

❁ قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾

(س) لماذا أضافت الآية الرسل إلى جانب الله تعالى ولم تكتف بالقول ﴿لأَغْلِبَنَّ﴾؟

(ج) كان ذلك للإشارة إلى سنة الله سبحانه وتعالى في الأرض وهي أنه يطلب من عباده السعي والحركة في مختلف شؤون الحياة وترك حالة الاتكالية حتى في عملية الصراع مع أعداء الحق، فربُّنا سبحانه وتعالى يطلب منا أن نبذل ما نستطيع من الجهد من أجل نصرة الحق ثم نتوكل عليه، وهو القادر على أن ينزل علينا جميع الخيرات ولكنه لا يفعل ذلك لأجل صلاحنا[(٣)]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[(٤)].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿أَنَا وَرُسُلِي﴾ ولم يقل: أنا والمؤمنون مع أنهم معنيون بالآية والغلبة لأن الرسل لا يستطيعون بمفردهم أن يحققوا نصراً على أرض الواقع لو لم يكن معهم مجموعة من الصالحين؟

---

(١) من هدي القرآن الآية.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٩ ٢٥.

(٣) المصدر السابق (مع تصرف).

(٤) سورة الشورى: ٢٨.

(ج) ربما للدلالة إلى أن نصر الله للمؤمنين إنما هو لاتباعهم خطَّ الأنبياء عليهم السلام ولا يمكن أن ينزل عليهم نصر من الله سبحانه وتعالى وهم بعيدون عن الإيمان والعمل الصالح الذي يدع الرسل عليهم السلام إليه[1].

(س) كيف يغلب الله ورسله على الأعداء؟

(ج)١ ـ تارة بإنزال العذاب المهلك على الأقوام الذين استحبوا الضلالة والعمى على الاستقامة والهدى قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ❖ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ❖ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ❖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً...﴾[2].

٢ ـ وتارة بالحجة البالغة، فيسدد بها أولياءه فيدعون الناس إليها، ولا يجد طالب الهداية نفسه إلا خاضعاً ومؤمناً بها.

٣ ـ وأخرى بنصره الحق عبر أوليائه المتوكلين عليه الباذلين في سبيله مهجهم المتيقنين من لقائه، وخير من نصر الحق والدين المبين وجاهد الكفار والمنافقين وأعطى للبشرية درساً في هذا السبيل هو إمامنا الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه الميامين عليهم السلام فقد نهضوا لنصرة الحق باذلين في ذلك الغالي والنفيس، دون أن ينشدوا أي مطمع دنيوي، فلم يتمنوا شيئاً سوى رضى الله (سبحانه تعالى)، فتقبل الله سعيهم وجهادهم، وجعل ذكرهم وحبهم في قلوب المؤمنين إلى قيام يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن للحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً» ومن جانب آخر بارك في جهادهم وسعيهم فجعلهم نوراً تستضيء بهم البشرية

---

(١) المصدر (مع تصرف).

(٢) سورة الحاقة: ٥ ـ ٨.

طريقها وتهتدي إلى الخير والكمال قال ﷺ: «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

❁ قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ...﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) تبين الآية المباركة صفة من صفات الذين كتب الله سبحانه وتعالى لهم النصر في الحياة فهؤلاء المنصورون لا يعرفون شيئاً اسمه الميل إلى أعداء الله والحق والإنسانية، فلا يميلون إلى محبة الكفار ولو ماتوا جوعاً وعطشاً وذلك لشدة حبهم وتعلقهم بالله تعالى واليوم الآخر.

(س) هل يمكن أن نشاهد هذه الحالة بين أفراد المجتمع؟

(ج) يمكن وذلك إذا تعمقت فيهم صفة الإيمان بالله واليوم الآخر بشكل كامل ومطلوب. قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا، وأبناءنا، وإخواننا، وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدو»[1].

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة بينما هناك أشخاص آخرون يمكن أن يلعبوا دوراً كبيراً في إبعاد الإنسان عن الإيمان والصلاح؟

(ج) إن الميل إلى هؤلاء أعظم أنواع الميل، ومع هذا يجب أن يكون مغلوباً

(١) نهج البلاغة خ٥٦.

ومطروحاً لأجل الحق والمبادئ الإلهية العليا، فإذا كان المؤمنون لا يتأثرون بضغوط ومغريات الخطوط العميقة في المجتمع فكيف يتأثرون بالتي هي أضعف منها[١].

❁ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾

(س) ما سبب مجيء قوله تعالى؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتبين العوامل الأساسية التي دفعت المؤمنين إلى امتلاك هذه المواقف الإنسانية الكبرى والشجاعة التي جعلتهم ينتصرون بها على جميع التحديات والمغريات وهي:

١ - إرادتهم وجهادهم قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

٢ - قوة الإيمان قال تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾

٣ - تأييد الله قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾

فالذي يمتلك هذه النعم الكبرى كيف يمكن أن يحصل في قلبه شيء من مودة أعداء الله.

(س) كيف يكتب الإيمان في القلب؟

(ج) وذلك بأن يثبته الله عز وجل في روح الإنسان بعد أن يرى استحقاقه لذلك.

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ وبين قول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: «الإيمان إقرار

---

(١) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف).

باللسان وتصديق بالجنان وعملٌ بالأركان»؟

(ج) إن الإيمان الحقيقي والمهم لدى الإنسان هو ما كان له وجود وثبوت في القلب، فإذا تحقق ذلك وانوجد فإن ظهوره على اللسان والجوارح أمر طبيعي وثانوي وسوف يظهر شاء الإنسان ذلك أم أبى، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا وظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه».

ولا يمكن للإنسان الذي يعتقد بشيءٍ أن يعمل خلاف ما يعتقد إلا أن يكون مغلوباً على أمره.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾

(س) هل هناك روح أخرى تعطى للمؤمنين فيما لو اخذوا بالإسلام بشكل كامل؟

(ج) تشير الآية المباركة إلى أن الله (سبحانه وتعالى) يفيض على المؤمنين روحاً أخرى إلى جانب الروح البشرية التي تعطى للمؤمن والكافر، فتفيض عليهم حياةً أخرى فيها خير عظيم، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾[2].

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٢) سورة الحديد: ٢٨.

وعلى هذا فلا موجب لما ذكروا أن المراد بالروح هو نور القلب أو هو نور العلم الذي يحصل به الاطمئنان[١].

وقال صاحب تفسير الأمثل: إن المفسرين ذكروا احتمالات وأقوالاً مختلفة يمكن الجمع بينها[٢].

۞ قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾

(س) كيف يمكن الإحساس بهذه الروح؟

(ج) قال الإمام علي الهادي عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أيد المؤمن بروح منه تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي تهتزُّ سروراً عند إحسانه، وتسيح في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً، وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرأً هَمَّ بخير فعمله، أو همّ بشر فارتدع عنه، ثم قال: نحن نؤيّد بالروح بالطاعة لله والعمل له»[٣].

۞ قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

(س) ما فائدة مجيء قوله عز وجل؟

(ج) في الآية وصف ووعد جميل لحياتهم الآخرة الطيبة[٤].

---

(١) تفسير الميزان: ج٢٨ ص١٩٧ (مع تصرف).

(٢) تفسير الأمثل: الآية.

(٣) نور الثقلين: ج٥ ص٢٦٩.

(٤) تفسير الميزان: الآية.

۞ قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

(س) كيف نفهم هذا الرضا المتبادل بين الخالق ومخلوقه؟

(ج) ينتاب المؤمنين شعورٌ برضوان الله سبحانه وتعالى خلال مسيرتهم الإيمانية بدرجات مختلفة حسب المكان الذي هم فيه، فلا شك أن إحساسهم بالرضا في الجنة هو أكثر بكثير مما هو في الدنيا وكذا في العوالم الأخرى، فهم يشعرون بالرضا عندما يرون أنهم مقبولون عنده قريبون منه، وفي كنف حمايته وأمنه ورضوانه وأما رضاهم عنه عز وجل فيتجلى من خلال ابتهاجهم بما رزقهم من الحياة الطيبة والجنة، وأنهم قد رضوا عنه في الحياة الدنيا حيث رغبوا في معرفته وثوابه، فلهذا لم يتذمروا من المصائب والمصاعب التي تعرضوا لها في حياتهم.

۞ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾

(س) من هم حزب الله؟

(ج) أشار القرآن الكريم إلى حزب الله بآيتين، الأولى جاءت في سورة المائدة وقد تحدثت حول موضوع الولاية والقيادة العامة للمسلمين وأنها يجب أن تكون فيمن لا يطلب بعمله إلا رضا الله سبحانه وتعالى والقرب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ❖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾[١].

ثم إن العمل الخالص لوجه الله سبحانه وتعالى لا يصدر إلا ممن أخلصه الله

(١) سورة المائدة: ٥٦.

وطهره تطهيراً وهم أهل البيت عليهم السلام كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وفي آية البحث أكد الله (سبحانه) على قطع (الودّ) مع أعداء الله، وإن الذي يقطع علاقته القلبية مع أعداء الله هو من حزب الله، نستنتج من الآيتين أن حزب الله هو خط الولاية والارتباط به قلباً وقالباً، والذي يؤدي بالإنسان إلى أن يكون من حزب الله تعالى المفلحون والغالبون ولو كره الكافرون[1].

(س) هل يمكن أن نحصر (حزب الله) بجماعة معينة من المؤمنين؟

(ج) الحزب هم الجماعة المنسجمة والمتآلفة بعضها مع بعض، وإذا كانت مهتديةً بهدى الله عز وجل فإن أفرادها يرتبطون بوشائج إيمانية وإنسانية عميقة فلا يمكن بعدها أن تجد خللاً وضعفاً وحقداً في نفوسهم أبداً، قال تعالى: ﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ...﴾.

فعلى هذا الأساس الواسع، لا يمكن أن نحصر (حزب الله) في جماعة معينة بل إنها تشمل جميع المؤمنين الصادقين[2].

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وقوله ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾؟

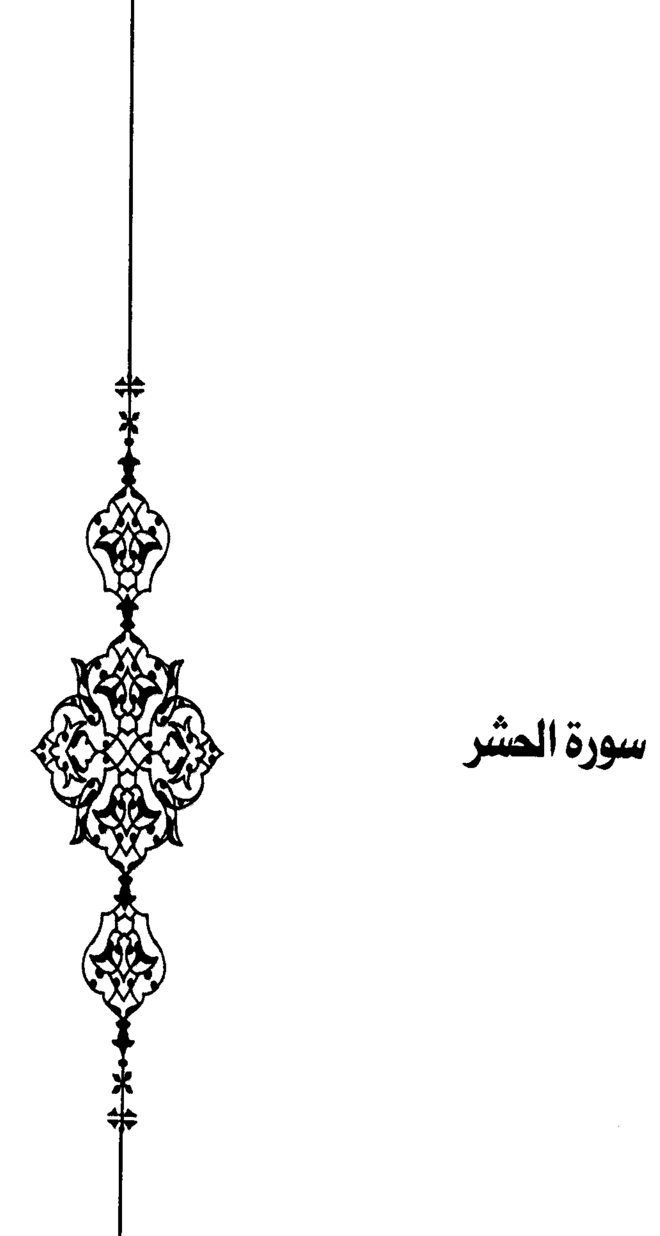
(ج) إن معنى الآيتين واحد ولكن مفهوم الفلاح أعمق من مفهوم الغلبة،

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٤٥ (مع تصرف).

(٢) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

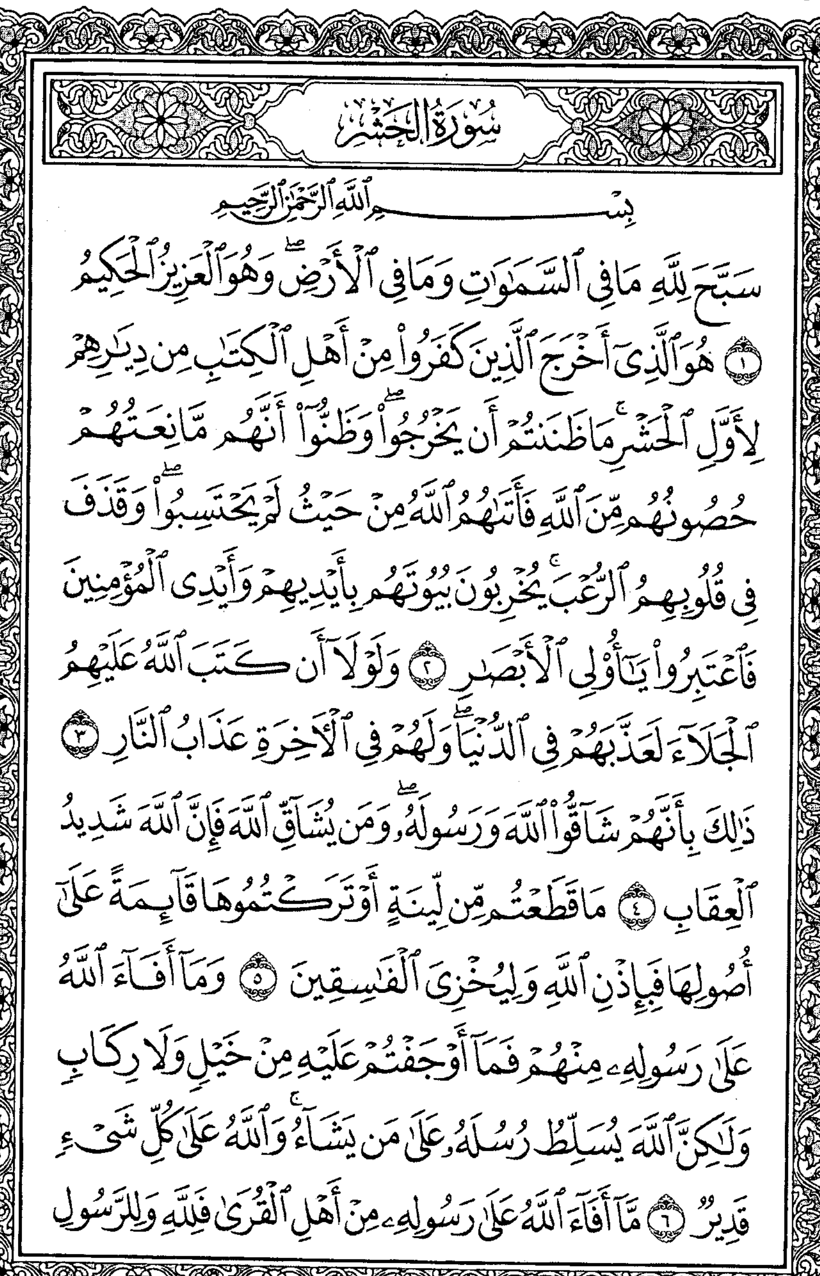
حيث ينظر إلى مسألة الوصول إلى الهدف الحقيقي الذي يطلبه الله سبحانه وتعالى من عباده[1].

(١) من الأمثل.



سورة الحشر





سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
(١) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ
لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ
فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ (٢) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣)
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٥) وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٦) مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا
ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ



نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ

لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ
أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ
أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾
فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا

ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

فضلها:

قال النبي الأكرم ﷺ: «من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا الحجب ولا السموات السبع والأرضون السبع والهواء والريح والطير والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلاّ صلّوا عليه واستغفروا له، وإن مات في يومه أو ليله مات شهيداً»(١).

وقال ﷺ: «من قرأ هذه السورة كان من حزب الله المفلحين»(٢).

---

(١) نور الثقلين: ج٥، ص٢٧١.

(٢) ثواب الأعمال ص٢٠٩.

مفردات السورة:

الحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب أو غيره، ولا يقال الحشر إلا في الجماعة، وقيل هو جمع مع سوق، والمحشر هو موضع الحشر.

وسميت الحشرة حشرة لكثرة حركتها لطلب الرزق.

حصونهم: الحصن هو ما يُتحرَّزُ به.

الجلاء: هو الانكشاف، وفي مجمع البيان هو الانتقال عن الديار.

لِّينَةٍ: النخلة اللينة الناعمة.

أفاء: أرجع وردّ.

أوجف: أسرع في السير، وقيل الوجوف: سرعة مع اضطراب، واستدلوا بقوله ﴿**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**﴾ أي مضطربة.

ركاب: الجمل أطلق عليه لقوته وتحمله وصبره.

دولة: تداول القوم الشيء تداولاً، والأصل هو الانتقال.

تبوؤا الدار: التبوُّؤ هو الحط والنزول كما في قوله ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ**﴾.

الشح: بخل مع حرص وهو أشد من البخل لأنه بُخل عما في أيدي الناس وفي الحديث: «لا يجتمع الشحُّ والإيمان في قلب مسلم».

الخصاصه: الفقر الذي لم يُسد.

وبال أمرهم: عاقبة كفرهم.

القدوس: الطاهر، والمقدس هو الطاهر من النجاسة.

البارئُ: هو الذي أتقن خلقه فلم يدع فيه ثغرةً أو فطوراً وقيل: معناه هو المنشئ والمبتدع.

سبب النزول:

ذكر المفسرون والمؤرخون بصورة مفصلة سبب نزول هذه الآيات، وخلاصة ما ذكروه:

١ ـ كان في المدينة ثلاث قبائل من اليهود وهم بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع، ويذكر أنهم لم يكونوا من أهل الحجاز أصلاً، وإنما قدِموا إليها واستقروا فيها، وذلك لما قرؤوه في كتبهم العقائدية من قرب ظهور نبي في أرض المدينة، حيث كانوا بانتظار هذا الأمر العظيم، وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة عقد معهم حلفاً على عدم تعرض كل منهما للآخر، إلاّ أنهم كلما وجدوا فرصة مناسبة لم يألوا جهداً في نقض العهد[1].

٢ ـ وروي أن أحد أصحاب الرسول ﷺ قتل نفرين كانا في عهد الإسلام وكان قتله لهما اشتباهاً، فأراد النبي ﷺ أن يستقرض من بني النضير، وهم يهود قرب المدينة، عددهم زهاء الألف، فأظهروا قبول إقراض الدية، ودعوا الرسول ﷺ إلى داخل الحصن.

لكن الرسول ﷺ أبى واتكأ على جدار الحصن، وهناك نزل عليه جبرئيل وأخبره بأنهم عازمون على الغدر به، وتبين الرسول ﷺ ذلك من حركاتهم، حيث أنهم تآمروا بينهم أن يصعد أحدهم على سطح الجدار الذي كان النبي متكئاً عليه، فيلقي على رأسه الشريف حجراً حتى يقضي على حياته الكريمة، قفل النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة، قبل أن يأخذ القرض، وأرسل رسولاً إلى بني النضير، إذ نقضتم ميثاقكم وأردتم الغدر، فاخرجوا من بلادي ولقد أجلتكم عشرة أيام، وحينذاك لم يجدوا مناصاً من الخروج إلا أن بعض المنافقين وعدهم النصر، ونهاهم عن الخروج، فلم يخرجوا، وأخبروا النبي ﷺ أنهم

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٥٥.

لن يخرجوا فليفعل ما بدا له وعزموا على المقاتلة، فخرج الرسول ﷺ مع جمع من أصحابه، ورايته بيد الإمام علي عليه السلام، وحصروا حصونهم وأخذوا يحتلون بيوتهم، فكان اليهود ينسحبون من دارٍ إلى دارٍ، وكُلّما انسحبوا خرّبوا البناء الذي في معرض الاحتلال واستماتوا في المقاومة، فأراد الرسول ﷺ قطع آمالهم بالبقاء، فأمر بقطع نخيلهم، ويئس اليهود من النجدة، فأرسلوا إلى النبي ﷺ رسولاً يطلبون منه أن يسمح لهم بالخروج جميعاً، فأذن لهم، بشرط أن لا يحملوا أكثر مما تحمله إبلهم فقط، لكنهم لم يقبلوا، وبقوا مستميتين، ولما ضيق عليهم الحصار قبلوا الشرط، ولكن النبي ﷺ جازاهم على عنادهم، فلم يسمح لهم بحمل شيء من أموالهم، وإنما أذن لهم بالخروج بدون حمل أثقالهم، فقبلوا الشرط وخرجوا وحدهم، وخلوا أموالهم كلها للإسلام، فقسم الأموال بين المهاجرين الأولين، وأعطى منها لنفرين من الأنصار، وبجلاء بني النضير استراح المسلمون من عدوٍّ لدودٍ لهم، كان يكيد لاجتثاث الإسلام من جذوره[1].

موضوع السورة:

١ ـ تشير السورة إلى قصة إخراج اليهود من بني النضير وذلك لنقضهم العهد الذي عقدوه مع المسلمين.

٢ ـ الغنائم التي تحصل من دون حرب هي لله ولرسوله وللمستضعفين من المسلمين، ولا توزع مثل التي تحصل بالجهاد والقتال.

٣ ـ الهدف من توزيع الثروة هو عدم تراكمها بين الأغنياء.

٤ ـ الفقراء من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله عز وجل ونصروا الله ورسوله أولئك هم الصادقون وهم الذين يستحقون الفيء.

---

(١) تقريب القرآن: ج٢٨ ص٤٥.

٥ ـ إن الأنصار قد وقاهم الله تعالى من حالة البخل فلهذا أثروا بما عندهم للمهاجرين.

٦ ـ المؤمنون يستغفرون للذين سبقوهم بالإيمان.

٧ ـ وأخيراً يدعونا الله سبحانه وتعالى إلى التهيؤ والاستعداد الكامل إلى الحياة الأخرى الدائمة ولننظر ماذا قدمنا لها[1].

الأسئلة والأجوبة:

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(س) لماذا بدأت السورة بهذه الآية المباركة؟

(ج)١ ـ جاء التنزيه والتسبيح لله سبحانه وتعالى كمقدمة لبيان قصة يهود بني النضير، الذين أصيبوا بأنواع الانحرافات في معرفة الله وصفاته بالإضافة إلى أنهم كانوا مغرورين بإمكانياتهم وقدراتهم المادية، ولهذا أشار الآية إلى بيان عزته وحكمته، وتجلت عزته وحكمته عليهم عندما ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

٢ ـ في الآية دعوة عامة إلى المكلفين في التوجه إلى الله سبحانه وتعالى لتسبيحه وتقديسه والتعلق به، فليس من الصحيح على الإنسان وهو سيد المخلوقات أن يكون أقل شأناً وتعلقاً بخالقه من المخلوقات الأخرى التي لا تنقطع عن ذكر الله (سبحانه وتعالى) طرفة عين، فكأنما الآية تقول ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٢٠٤ -٢٠٥.

(٢) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٥٧.

شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ إذ الأولى من الإنسان أن يكون الأفضل من سائر المخلوقات في التوجه إلى الله تعالى.

(س) كيف تسبح السموات والأرض لله تعالى؟

(ج)١ - تسبح تكوينياً من خلال إظهار عجزها وافتقارها لخالقها ومدبرها (جل وعلا).

٢ - تسبح عملياً من خلال خضوعها لإرادته وسننه تعالى.

٣ - تسبح بلسانها الخاص، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1].

(س) هل الكافر بعيدٌ عن إطار تسبيح الله عز وجل بشكل كامل؟

(ج) قد يخرج الكافر عن تسبيح الله عز وجل بلسانه وبقلبه وبسلوكه ولكنه لا يستطيع الخروج من الناحية التكوينية من قبضة الله لإرادته تعالى ولأنه محتاج إليه في جميع أُموره الحياتية وخاضعٌ لِسُنَنِهِ في الحياة وغير قادر من الإفلات من حكومته.

❁ **قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**

(س) لماذا ذكرت الآية صفتي العزة والحكمة دون غيرهما من صفات الله (جل وعلا)؟

(ج) لأن السورة عكست بأحداثها وآثارها صورة واقعية لعزته وحكمته حيث بعزته كتب الهزيمة على أعدائه والنصر لرسوله وللمؤمنين، وبحكمته أعطى النصر الكبير للمسلمين من دون تضحيات.

---

(١) سورة الإسراء: ٤٤.

قال تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ..﴾

(س) لماذا تعرض القرآن الكريم لذكر حادثة إخراج اليهود؟

(ج) تبين الحادثة جلالة قدرة الله وعظمته ونفاذ حكمه في الأرض وتعطي أعظم الدروس للبشرية إلى يوم القيامة، منها أنها تدعو الإنسان إلى عدم الاغترار بما عنده من قوى مادية فإنها ليست بشيء أمام قدرة الله، قال تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، فإنه يعلم كيف يبيد شوكة أعدائه مهما قويت، قال عز وجل: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي المُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾، فعلى الإنسان أن لا يعتمد على شيء غير الله سبحانه وتعالى، فليس للعالم أن يعتمد على علمه ولا للقوي أن يعتمد على قوته ولا للزاهد على زهده، بل الاعتماد الحق يجب أن يكون على الله ورحمته فحسب.

(س) لماذا التأكيد بضمير (هو) في قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ﴾؟

(ج) وذلك للإشارة إلى:

١ ـ أن الانتصارات والمكاسب التي يحرزها المؤمنون في حياتهم إنما هي

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٢١٥.

بإرادة الله عز وجل.

٢ ـ لأجل الإشارة إلى حادثة إخراج اليهود من المدينة والقضاء على شوكتهم التي تمت من دون قتال وجهاد، فلذا فإن المكاسب المادية يجب أن تعود إلى النبي ﷺ يتصرف فيها كيف يشاء حسب ما تقتضيه المصلحة العامة للمسلمين، وبهذا الأمر تبطل شبهات المنافقين حول تقسيم الفيء[١].

(س) لماذا أُخرج اليهود من ديارهم وهم أهل الكتاب؟

(ج) إن أهل الكتاب إذا التزموا بكتابهم، وعهودهم، فإنهم محترمون في الإسلام ما داموا يحترمون المسلمين، ولكن إذا كفروا وتآمروا، فقد خرجوا من ذمة الإسلام ووجب قتالهم وإخراجهم من بلاد المسلمين، وهذا ما حدث كاملاً مع يهود بني النضير وغيرهم.

وإنه تعالى قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..﴾ ولم يقل: أهل الكتاب وذلك للإشارة إلى هذه الحقيقة، إذ أن قتالهم وإخراجهم لم يكن على أساس أنهم أهل الكتاب، بل انطلق بسبب عدائهم لله ولرسوله وللمؤمنين[٢].

فنرى الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام يتألم للمسلمةِ المعتدى عليها، وعلى الأخرى الكتابية دون أن يفرق بينهما، قال عليه السلام: «ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقُلبها وقلائدها ورعثها.. فلو أن امرأً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»[٣].

---

(١) المصدر السابق ص٢١٧.

(٢) المصدر.

(٣) نهج البلاغة ج٢٧ ص ٦٩.

❁ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحُشْرِ..﴾

(س) ما هو أول الحشر ومتى يكون آخره؟

(ج) الحشر هو إخراج الجمع من مكان إلى آخر، والمعنى: أنه تعالى أخرج اليهود لأول إخراج لهم من شبه الجزيرة كمرحلة أولى، يتبعها جلاءٌ آخر حتى لا يبقى منهم أحد، وحدث ذلك لما قويت شوكة المسلمين، وإن جلاءهم عن الديار المقدسة يتحقق مرةً أخرى مع ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام حيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، وهكذا يستمر جلاؤهم وإخراجهم حتى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

(س) لماذا ظن المسلمون أن اليهود لا يُقهَرون ولا يُخرجُون من ديارهم؟

(ج) قال ابن عباس: إن المسلمين ظنوا أنهم لقوتهم ومنعتهم لا يخرجون من ديارهم، وظنوا بأنهم سوف لا يصلون إلى مرادهم في إخراج اليهود والتخلص من ضررهم، فلما تيسر هذا الأمر، كان مجيئه ووقوعه أمراً عظيماً للمسلمين[2].

---

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٨ ص ٢٧٩ (مع تصرف).

۞ قال تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا..﴾.

(س) ما هي الأسباب التي أدت إلى هزيمة اليهود؟

(ج)١ ـ الاغترار بالإمكانيات المادية، حيث ظنوا أن حصونهم تمنعهم من النبي ﷺ ولكنها لم تنفعهم ولم تدفع عنهم الانكسار والهزيمة.

٢ ـ تمردهم على الله سبحانه وتعالى من خلال عدم الإيمان به وعدم الخوف منه، قال تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ..﴾، وفي تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بمناعة حصونهم من المسلمين، حيث لم يقل تعالى: ظنوا أن حصونهم تمنعهم (بتقديم الاسم على الخبر).

٣ ـ نزول النصر الإلهي الكبير على المسلمين، قال تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

(س) إن الذي واجه اليهود هو النبي ﷺ وأصحابه، فلماذا قالت الآية: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾؟

(ج)١ ـ في الآية تشريف عظيم للرسول ﷺ ولأصحابه الصادقين، حيث دلت على أن مواجهتهم هي مواجهة لله تعالى[1].

٢ ـ أنه تعالى نسب الإخراج إليه في الآية السابقة بما أتاهم من حيث لا يشعرون وألقى في قلوبهم الرعب.

۞ قال تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا..﴾

(س) كيف أتاهم الله من حيث لم يخطر ببالهم؟

(ج)١ ـ أضعف قوتهم وفَلَّ عضدهم وتماسكهم عندما قُتل رئيسهم كعب

---

(١) المصدر السابق.

بن الأشرف حيث أمر النبي ﷺ باغتياله.

٢ ـ ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾، تشير الآية إلى أنهم أغفلوا في خططهم في بعض جوانبها الظاهرية، مما يدل على أن القوى الاستكبارية الطاغية لا تستطيع سد كل ثغراتها، فهي ليست بعيدة عن الخطأ[١].

وقال الفخر الرازي في تفسيره: إن قوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ..﴾ لا يمكن إجراؤه على ظاهره باتفاق جمهور العقلاء، فدل على أن باب التأويل مفتوح، وأن صرف الآيات عن ظواهرها بمقتضى الدلالة العقلية جائز[٢].

وبهذا يسقط قول الذين يأخذون بظاهر الآيات ويفسرونها حسب ما يتصورون وما يفهمون،

قال النبي ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

❁ قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

(س) لماذا لم تقل الآية المباركة: وجعل في قلوبهم الخوف؟

(ج) إن القذف أشد من الجعل وهو إثباته في الشيء بينما الجعل هو تغيير الحالة السابقة إلى أخرى، والرعب هو الخوف الذي يستوعب الصدر[٣]، بينما الخوف هو توقع مكروه عن إمارة مظنونةٍ أو معلومة[٤].

فالآية تدل على أن الخوف الذي ملأهم كان من الله تعالى وأنه صار سبباً في ذهولهم وفقدانهم للتوازن وإقدامهم على بعض الأفعال التي كانت السبب في

---

(١) المصدر.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٨ ص ٢٨٠.

(٣) التفسير الكبير: ج٢٨ ص ٢٨٠.

(٤) مفردات الراغب ص٣٠٣.

هزيمتهم وخروجهم من ديارهم.

❁ **قال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ..﴾**

(س) لماذا خربوا بيوتهم؟

(ج)١ ـ لما أيقن اليهود بالجلاء، حسدوا المسلمين أن يسكنوا مساكنهم ومنازلهم ولهذا أخذوا يخربونها من الداخل، والمسلمون من الخارج[١].

٢ ـ قيل حتى يصبح ركام الخرائب حائلاً دون تقدم المسلمين.

٣ ـ وقيل لينفسح لهم المجال للمناورة في الحرب.

(س) هل نفعهم هدم بيوتهم؟

(ج) إنهم خسروا وفشلوا كثيراً، حيث أظهروا بهذا التصرف هزيمتهم للمسلمين، ما قوّى معنويات المسلمين فصاروا متيقنين بالنصر بعد أن كانوا يظنون أنهم لا يخرجون من حصونهم، قال تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا..﴾ فبعملهم هذا أعانوا المؤمنين على تحقيق النصر عليهم[٢].

(س) لماذا قال تعالى ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتخفيف ولم يقل يُخرِّبون بالتشديد؟

(ج) قال الفراء: يُخرِّبون بالتشديد أي يهدمون، وبالتخفيف أي يُخرِبُون منها ويتركونها[٣].

(س) يذكر التاريخ بأن النبي ﷺ أمر المسلمين بهدم بيوتهم فما هي الحكمة من وراء ذلك؟

(ج) إنه ﷺ يعلم بطبيعة اليهود وحبهم الشديد للحياة الدنيا، وأنهم لا

---

(١) التفسير الكبير ص٢٨٠.

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص ٢٢٠.

(٣) التفسير الكبير: ج٢٨ ص ٢٨٠.

يملكون شجاعة المواجهة مع المسلمين لذلك يتوسلون بأنواع السُبل المكنة لدفع الموت عن أنفسهم، فأمر النبي ﷺ بهدم بيوتهم لينفسح المجال للقضاء عليهم.

قال تعالى: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[١].

وقال (عز وجل): ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

(س) ما هو دور الرعب في هزيمة اليهود؟

(ج) إن العامل الروحي للمقاتل له دور كبير وأساسي في نتيجة المعركة، فالمؤمنون الذين يقاتلون لأجل إعلاء كلمة الحق يشعرون بالانتصار في جميع الأحوال، سواء انتصروا أو استشهدوا ولهذا لا يرى الرعب مجالاً للدخول في نفوسهم، بينما تفتقد الجيوش الكافرة هذه الحالة في نفوس مقاتليها، فلهذا نراهم يتحاشون الدخول في المعارك والحروب بالرغم من امتلاكهم للقدرات العسكرية الهائلة، ويخافون من الجماعة القليلة المؤمنة[٣]، تقول الروايات بأن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام عندما يظهر ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، سيكون تحت إمرته ثلاثة جيوش وهم «الملائكة و المؤمنون

---

(١) سورة الحشر: ١٤.

(٢) ٢: ٩٦.

(٣) تفسير الأمثل: ج١٨ ص ١٦٥.

والرعب»[١]، وقالﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[٢].

۞ قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾

(س) ما هو الاعتبار ومن هو المعتبر؟

(ج) الاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء، وسميت العَبرةُ عبرةً لأنها تنتقل من العين إلى الخد، وسمي المُعَبِّرُ مُعَبِّراً لأنه به تحصل المجاوزة، وسميت الألفاظ عبارات لأنه تنقل المعاني من القائل إلى عقل المستمع، ويقال السعيد من اعتبر بغيره لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه[٣]،

وقيل إن الاعتبار هو العبور من الظواهر إلى الحقائق، ومن الأحداث إلى خلفياتها، والعبرة الحقيقية هي ما خالطها العمل الصالح، لكي يستفيد الإنسان منها، ولا يصل إلى هذه الغاية إلا أولو البصائر السليمة، قال الإمام الصادقعليه السلام: «ولا يصح الاعتبار إلا لأهل الصفا والبصيرة».

ثم قال الرازي بعد قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ فليس للزاهد أن يعتمد على زهدِهِ، فإن زهده لا يكون أكثر من زهد بلعام[٤]، وليس للعالم أن يعتمد على علمه، انظر إلى ابن الراوندي مع كثرة علمه كيف صار، بل لا اعتماد لأحدٍ في شيء إلا على فضل الله ورحمته[٥].

---

(١) إثبات الهداة: ج٧ ص ١٢٤.

(٢) مجمع البيان: ج٢ ص ٥١٩ نهاية الآية ١٥١ آل عمران.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ورد في لسان العرب: (بلعم: اسم رجل؛ حكاه ابن دريد، قال: لا أحسبه عربياً).

(٥) المصدر السابق.

(س) ما هي العبرة التي يمكن أن نستفيدها من هذه الحادثة؟

(ج) من أهم العبر التي نستفيدها من هذا الحادث التاريخي هي معرفة الله وعزته، والثقة بنصره للمؤمنين رغم الظروف والعوامل المعاكسة[١]، وما أحوجنا ونحن نواجه الأعداء من كل جانب ولا سيما الذين جندوا قواهم واتفقت كلمتهم على محاربة الإسلام بألوان الصور والأساليب أن نتجه إلى ربنا ونعتمد عليه قولاً وفعلاً لكي ينصرنا كما نصر المسلمين من قبلنا، ولكن (ما أكثر العِبَر وأقل الاعتبار)[٢] كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام.

❁ قال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾

(س) أو لم يعذبهم الله بجلائهم وهو القائل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ حيث إنَّ الخروج من الديار بدرجة القتل للأنفس فأي عذاب يُريد الله سبحانه وتعالى أن يعذبهم في الدنيا بعد هذا؟

(ج) إن عذاب التهجير والتبعيد من الوطن أخف بكثير من القتل، فكم ممن هُجِّرَ وأُخرِجَ، ولكنه نال الخير والشرف والسعادة في هذه الدنيا قبل الآخرة ومن جانب آخر حفظ نفسه ودينه من الرضوخ والاستسلام للظالمين، فنرى أبا ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه يختار التبعيد والإخراج إلى أي بقعة من الأرض كانت، وهو محتفظ بدينه وإيمانه وحبه للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد قال النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في حق أبي ذر: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص ٢٢١.

(٢) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

وإن يهود بني النضير أخرجوا من بيوتهم لأنهم كانوا يحاربون الرسول ﷺ والإسلام بشكل عام، لذا كان من الواجب إخراجهم لينفسح المجال لنور الإسلام في الانبساط.

(س) أوصى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مالك الأشتر عندما جعله والياً على مصر، بأن يعامل جميع الناس بالرحمة والشفقة، قال عليه السلام: «ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صِنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق...» فلماذا لم يواجه النبي ﷺ اليهود بنوع من هذه المعاملة؟

(ج)١ ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، إنهم وقفوا في الجبهة المقابلة لله ورسوله ونصبوا أنفسهم لمحاربة الحق بكل الصور والإمكانيات، ضاربين بذلك كل العهود والمواثيق عرض الجدار، فلذا فلابد أن يقابلوا بالمثل قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالمنَافِقِينَ وأغلظ عَلَيْهِمْ...﴾

٢ ـ إنهم لم يُخرجوا من ديارهم لأنهم يهود كما يزعم الصهاينة الحاقدون بل إنهم والنصارى يُحترمون ولهم حقوقهم وذلك إذا احترموا أنفسهم واحترموا الآخرين بالشكل الذي يأمر به الله تعالى.

۞ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾

(س) ما الذي دفع اليهود لأن يقفوا في الجبهة المقابلة للحق ويحاربوا الإسلام بمختلف الأساليب والإمكانيات، حتى قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾؟[1].

---

(١) سورة المائدة: ٨٢.

(ج)١ ـ يعتبرون أنفسهم أبناء الله وشعبه المختار، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ..﴾(١).

٢ ـ يرون أنفسهم أنهم فوق الحق وعلى الصراط المستقيم دائماً وأبداً وفي كل الأحوال ولهذا فإنَّ الجنة مخصصة لهم دون غيرهم، وهذا ما ادعت بِهِ النصارى أيضاً، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

٣ ـ إنهم لا يعترفون بغير دينهم، حيث يقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٣)

(س) لماذا قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ولم يقل شديد العذاب؟

(ج) كلمة العقاب تنطوي على معنى العذاب والجزاء معاً، وهي أصلح لهذا الموضع، وفي الآية تحذيرٌ لكل من تُسوّل له نفسه محاربة الحق(٤)

(س) لماذا لم تذكر الآية الرسول ﷺ وإنما اكتفت بذكر الله تعالى فقط؟

(ج) في الآية إشارةٌ إلى أن العداء لرسول الله ﷺ هو عداء لله أيضاً وأنهما لا ينفصلان عن بعض(٥)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ..﴾.

---

(١) سورة المائدة: ١٨.

(٢) سورة البقرة: ١١١ ـ ١١٢.

(٣) سورة البقرة: ١١٣.

(٤) من هدي القرآن: ج١٥ ص٢٢٢.

(٥) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٦٣.

۞ قال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ..﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء قوله تعالى؟

(ج) أثار اليهود والمنافقون شبهتين على النبي الأكرم ﷺ بعد الحادثة، وهما قطع النخيل وتقسيم الفيء، وذلك لإحداث البلبلة والتشكيك في المؤمنين، «فقالوا: ما ذنب شجرة وأنتم تزعمون أنكم مصلحون»[1]؟، ولماذا لا توزع الغنائم على المسلمين بصورة متساوية؟ فجاءت الآية لترد هذه الإشاعات والشبهات الباطلة التي تفرق بين المسلمين والنبي ﷺ لتقول لهم: مادام النبي ﷺ مرتبطاً بالوحي فلذا لا يقوم بعمل إلا من بعد إذن الله تعالى، فالآية جاءت لتثبيت قلوب المؤمنين وللقضاء على الإشاعات المسمومة[2].

(س) لماذا أمر الله تعالى بقطع نخيلهم؟

(ج)١ ـ لعله أحد العوامل التي بعثت الرعب في قلوبهم وكسرت شوكتهم[3].

٢ ـ إنها دعوة لهم للخروج من بيوتهم وديارهم بشكل كامل، وذلك جزاءً لهم، لمحاربتهم لله ولرسوله ﷺ. ولهذا قال عز وجل: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ..﴾

(س) ما هي اللينة؟

---

(١) الدر المنثور: ج٦ ص١٨٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) من هدي القرآن: ج١٨ ص٢٢٤.

(ج) اللينة النخلة الناعمة من دون اختصاص منه بنوع دون نوع[١]، وقال البعض: اللينة هي النخلة الكريمة، كأنهم اشتقوها من اللين، وقيل هو اسم لنوع من أجود التمر في المدينة ونخلتها تُسمى اللينة.

(س) كيف نرى الله سبحانه وتعالى يأمر بعدم التبذير والإسراف ويعتبره من عمل الشيطان بقول ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ ويذم الذي يهلك الحرث والنسل بقوله ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحُرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾، بينما الآية تأمر بقطع الأشجار الطيبة؟

(ج)١ - قال الفخر الرازي في تفسيره: احتج العلماء بهذه الآية، على أن حصون الكفرة المحاربين وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق، وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرةً كانت أو غير مثمرة.

٢ - يبيح الإسلام إهلاك الحرث والنسل إذا توقف نصر الحق وإجراء العدالة على ذلك[٢].

٣ - عن ابن مسعود (رضوان الله عليه) قال: قطعوا منها ما كان موضعاً للقتال[٣].

❁ قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(س) كيف ينظر الإسلام إلى غنائم الحرب؟

---

(١) مفردات الراغب.

(٢) من هدي القرآن: ص٢٢٤.

(٣) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٨٣.

(ج)١ ـ ما يتسلط المسلمون عليه بالقتال، فيكون للرسول وللإمام من بعده الخمس من صفو المال قبل القسمة، وما بقي يقسم على مقاتلي المسلمين ويُسمى الغنيمة[١].

٢ ـ ما يتسلطون عليه من دون قتال:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الأنفال ما لم يوجف (يُستعد) عليه بخيل ولا ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم أعطوا بأيديهم، وكل أرض خربة وبطون الأودية فهو لرسول الله، وللإمام من بعده يضعه حيث يشاء»[٢].

وقفة مع الرازي:

(س) قال الرازي في تفسيره، ذهب بعض المفسرين بأن الآية نزلت في فدك، وذلك لأن أهل فدك تركوا أرضهم، فصارت تلك القرى والأموال في يد الرسول عليه السلام من غير حرب... فلما مات ادعت فاطمة عليها السلام أنه كان ينحلها فدكاً، فقال أبو بكر: أنت أعز الناس عليَّ فقراً، وأحبهم إليَّ غنى، لكني لا أعرف صحة قولك! ولا يجوز أن أحكم بذلك، فشهدت لها أم أيمن ومولى للرسول صلى الله عليه وآله، فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن، فأجرى أبو بكر ذلك ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وآله ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل الباقي في السلاح والكراع، وجرى الأمر بهذا المجرى في عهد عمر وعثمان وعلي عليه السلام، واتفق الأئمة الأربعة على ذلك[٣] (انتهى قول الرازي) ولكن هل هذا الكلام صحيح، وهل التعرض لهذه الرواية

---

(١) المصدر السابق ص٢٢٥.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٢٧٥.

(٣) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٨٤.

التي تقلل من شأن الزهراء عليها السلام صحيح؟

(ج) ما كان ينبغي للفخر الرازي أن يتعرض لنقل هذا الكلام الذي لا يقبل به الله ورسوله والمؤمنون وهو يتعارض مع ما نقله المؤرخون من فرق المسلمين، أن فدكاً هي للزهراء عليها السلام وإليك بعض ما قاله الرواة:

١ ـ ذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة: إن أبا بكر انتزع من فاطمة فدك ومعنى هذا أن فدك كانت في يد الزهراء عليها السلام من عهد أبيها فانتزعها أبو بكر منها. وليس كما قال الرازي، بأن الزهراء أدعت ذلك بعد وفاة أبيها.

٢ ـ يستفاد من الآيات والروايات أن فدك كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة، وأن النبي أعطاها إياها بعنوان النحلة والعطية بأمر الله تعالى عندما أمره بقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾.

٣ ـ أن أبا بكر بعد أن انتزع فدك من يد الزهراء عليها السلام ادعى بأن فدك ليست لها بل لسائر المسلمين، ما كانت له بيِّنة على ادعائه، والنبي صلى الله عليه وآله يقول «البينةُ على المدعي، واليمين على من أنكر»

٤ ـ أن أبا بكر طلب الشهود من الزهراء عليها السلام ليشهدوا لها بذلك، فجاءت بالذين نزلت فيهم آية التطهير بقوله (عز وجل): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وهم الإمام علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام وأم أيمن، وليس الشاهد هي أم أيمن ومولى لرسول الله صلى الله عليه وآله فقط كما قال الرازي.

إنها استشهدت بالذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وآله الأحاديث الكثيرة، ولكنه لم يقبل شهادتهم

قال صلى الله عليه وآله: «عليٌّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»

وقال صلى الله عليه وآله: «عليٌّ مني بمنزلةِ هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي»

وقال ﷺ : «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»

وقال ﷺ : «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»

وقال ﷺ : «عليٌّ مني بمنزلة رأسي من بدني أو جسدي»[١]

وقال ﷺ : خير رجالكم علي بن أبي طالب، وخير نسائكم فاطمة بنت محمد».

وقال ﷺ : «فاطمةٌ بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني»

وقال ﷺ : «فاطمة روحي التي بين جنبي... »

وقال ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»

وقال ﷺ : «إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «... بلى كانت في أيدينا فدك من كُلِّ ما أظلته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونِعمَ الحكم الله...»[٢]

فأين الفخر الرازي من أحاديث النبي ﷺ في أهل بيته المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ ولماذا النقل للكلام الذي يقلل من عظمة شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام التي من أغضبها فقد أغضب الله عز وجل كما قال النبي ﷺ ؟

۞ **قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

---

(١) تاريخ بغداد: ٧ ص١٢، الصواعق ص٧٥.

(٢) نهج البلاغة: من كتابه لعثمان بن حنيف (رضوان الله عليه).

(ج) لما تحقق النصر الإلهي للمسلمين على اليهود من بني النضير جاء بعض الصحابة إلى النبي ﷺ وطلبوا منه أن يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة، لهذا نزلت الآية المباركة لتذكر الفرق بين الأمرين، وهو أن الغنيمة ما أتعبتم أنفسكم في تحصيلها وأوجفتم عليها الخيل والركاب، بخلاف الفيء فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعباً[١]، فكان الأمر فيه مفوضاً إلى الرسول يضعه حيث يشاء.

❁ قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(س) كيف يسلط الله سبحانه وتعالى رُسُله على من يشاء من عباده؟

(ج) ينصرهم عليهم ويصرفهم فيهم، وفي ما يملكون مطلق التصرف تكوينياً وتشريعياً، وهذه الصلاحية تنتقل إلى الإمام الصالح من بعده، وبما أن قدرة الله تعالى كبيرة جداً، لهذا فإنه يُنزل النصر لرسله تارةً بالغلبة في ساحات القتال، وتارة يأتي النصر للنبي وللمسلمين من دون أن يحركوا ساكناً كما حصل مع يهود بني النضير[٢].

❁ قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾

(س) لماذا لم يأتِ حرف عطف في بداية الآية المباركة؟

(ج) قال صاحب الكشاف: لم يدخل العاطف على هذه الجملة، لأنها

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٨٤.

(٢) من هدي القرآن: ص٢٢٦.

بيانٌ لما سبقتها، فهي منها وغير أجنبية عنها[١].

(س) من هم ذو القُربى واليتامى والمساكين...؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره: واعلم أنهم أجمعوا على أن المراد من قوله ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ هم بنو هاشم وبنو المطلب، قال الواحدي: كان الفيء في زمن رسول الله ﷺ مقسوماً إلى خمسة أسهم، أربعة منها لرسول الله ﷺ خاصة وكان الخمس الباقي يقسم على خمسة أسهم، سهم منها لرسول الله أيضاً، والأسهم الأربعة الباقية لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فبعد هذا: لماذا تؤخذ فدك من بنت رسول الله فاطمة الزهراء عليها السلام؟ ولماذا لم تُصدق عندما قالت إن أبي قد هداها لي، ويُطلب منها شهود لكي يشهدوا على صدق كلامها؟ أو لم يقل رسول الله ﷺ: فاطمة روحي التي بين جنبي، «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني؟».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لنا سهم الرسول وسهم ذي القربى، ونحن شركاء الناس فيما بقي»[٢].

(س) لماذا يعود أغلب الفيء إلى رسول الله ﷺ خاصة يفعل به ما شاء؟

(ج) بما أن النبي محمد ﷺ هو أعظم خلق الله سبحانه وتعالى وله مكانة عظمى عنده سبحانه وتعالى وأن إطاعته هي إطاعة الله كما قال ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾.

فلذا فإن جميع تصرفاته مرضيةٌ عنده بصورة كاملة، حيث جعله تعالى معصوماً ومبرأً من كل نقص وخلل، فلهذا السبب فإن الفيء عندما يكون بيد

(١) تفسير الكبير: ص٢٨٥.

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٢٧٤ -٢٧٥.

النبي ﷺ فسوف يضعه في المكان المناسب الذي يريده الله سبحانه وتعالى ولهذا أعطى فدكاً لابنته الزهراء عليها السلام وهو يعلم بأن هذا العمل هو الذي يحبه الله سبحانه وتعالى لكي يستخدم في نشر الدين وإسعاد المسلمين، ولكن امتدت إليه الأيدي وانتزعته منها، كما امتدت إلى أمر الخلافة وأخذته من صاحبها الشرعي، وبقي الإمام أمير المؤمنين عليٌ عليه السلام جليس بيته مدة ٢٥ عاماً.

(س) لماذا جُعِلَ باقي الفيء لِذوي القُربى واليتامى والمساكين وابن السبيل بعد أن جُعل أغلبه للنبي ﷺ ؟

(ج) روى المنهال عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: قلت: قوله ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال عليه السلام: «هم قرباؤنا، ومساكيننا، وأبناء سبيلنا»، وروي عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أنهم أيتام الناس عامة وكذلك المساكين وأبناء السبيل[1] والسبب في هذا الجعل خاصة هو قوله تعالى: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾، وفي هذا التقسيم ثلاث فوائد:

١ ـ رفع حاجة المحتاجين والفقراء مما يؤدي إلى القضاء على أسباب الفساد والجريمة في المجتمع قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «كاد الفقر أن يكون كفراً».

٢ ـ القضاء على حالة الطبقية وانحصار الثروة.

٣ ـ تحرك الاقتصاد الاجتماعي في دائرة واسعة[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

(س) لماذا ألزم الله سبحانه وتعالى عباده بالأخذ بأوامر النبي ﷺ والانتهاء

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٢٧٨.

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص٢٢٩.

عن نواهيه؟

(ج) قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾، فبما أن النبي ﷺ لا يقول شيئاً من نفسه وما يقوله من أمرٍ ونهي هو من الله سبحانه وتعالى، فلذا فإن إطاعته تكون واجبة، وعصيانه يكون محرماً، لأنه سوف يكون عصياناً لأوامر الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾، فلهذا لا يجوز لأحد أن يصادر ما منحه النبي ﷺ لذوي قرباه، ومنها منحة فدك التي أعطاها النبي ﷺ لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام.

قصة فدك

فدك هي إحدى القرى المثمرة في أطراف المدينة، تبعد بحدود ١٤٠ كم عن خيبر، لما سقطت قلاع خيبر في السنة السابعة للهجرة، الواحدة تلو الأخرى أمام قوة المسلمين، واندحرت القوة المركزية لليهود، جاء سكان فدك يطلبون الصلح مع رسول الله ﷺ، فأعطوا نصف أراضيهم وبساتينهم للنبي ﷺ واحتفظوا بالقسم الآخر لأنفسهم، وقد تعهدوا له ﷺ بزراعة أراضيه، وأخذ الأجرة عوض الجهد الذي يبذلونه، ومن خلال ملاحظة التفاصيل التي وردت حول (الفيء) في هذه السورة، فإن هذه الأرض كانت من مختصات النبي ﷺ ومن صلاحيته أن يصرفها حيث يشاء وهو المعصوم عن الزيادة والنقصان، والحكيم الذي يضع الشيء في المكان المناسب والمفيد الذي فيه الخير للإسلام والمسلمين، فصرف (فدك) في أحد الموارد التي ذكرتها هذه السورة، فجعلها في ذوي قرباه، إذ وهبها لابنته الزهراء عليها السلام وقد ذكر هذا الحديث الكثير من المؤرخين والمفسرين من السنة والشيعة، جاء في تفسير الدر المنثور، نقلاً عن ابن

عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[1]، أنه ﷺ عندما نزلت هذه الآية أعطى فدكاً لفاطمة عليها السلام. «أقطع رسول الله ﷺ فاطمة فدكاً»[2].

وجاء في حاشية مسند أحمد، حول مسألة صلة الرحم، أنه نقل عن أبي سعيد الخدري أن الآية ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ لَمَّا نزلت دعا الرسول ﷺ فاطمة، وقال: «يا فاطمة لك فدك»[3] وذكر ابن أبي الحديد، قصة فدك بصورة مفصلة في شرح نهج البلاغة[4] كما ذكرت في كتب أخرى كثيرة.

إلا أن البعض من الأصحاب، كان يعتقد أن وجود (فدك) بيد فاطمة الزهراء عليها السلام وهي زوجة الإمام علي عليه السلام تمثل قدرة اقتصادية عظيمة يمكن أن تستخدم في مجال التحرك السياسي الخاص بالإمام عليه السلام بينما الموقف الذي كان في صدور الأصحاب، والذي صمموا على إجرائه بشكل كامل هو القضاء الكامل على أي تحرك إيماني للإمام يجعل الإمام يستمر في حمل لواء الإسلام والقرآن عالياً كما حمله من قبل النبي الأكرم ﷺ لهذا قرر كبار الصحابة مصادرة نحلة الزهراء عليها السلام ضاربين بذلك أمر الرسول ﷺ عرض الحائط، بذريعة الحديث الموضوع: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث». مع أن فدكاً كانت ملكية أصولية بيد الزهراء عليها السلام وذو اليد لا يطالب بالشهادة والبينة، إذ البينة والشهادة على المدعي، ولا يملك المدعي شيئاً إلا حديثاً عليلاً، ثم إن الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام شهدوا على أن رسول الله ﷺ قد منح فدكاً لابنته ولكنهم لم يقبلوا ذلك.

---

(١) الروم: ٣٨.

(٢) الدر المنثور: ج٤ ص١٧٧.

(٣) كنز العمال: ج٢ ص١٥٨.

(٤) شرح ابن حديد: ج١٦ ص٢٠٩ وما بعدها.

وقد اتخذت قضية فدك عبر العصور التاريخية من قبل الملوك والسلاطين في زمن بني أمية وبني العباس موضوعاً تظاهروا من خلاله بالولاء لأهل البيت عليهم السلام وذلك لأهداف سياسية دنيوية، فكانوا يرجعونها تارة لآل الرسول ثم بعد مدة يصادرونها، وقد تكرر هذا الفعل عدة مرات في زمن حكم خلفاء بني أمية وبني العباس[١].

وقصة فدك وما رافقها من أحداث مؤلمة في صدر الإسلام من أكثر القصص ألماً وحزناً ومن أعظم حوادث التاريخ عبرة ومحل تأمل ودراسة. روى مسلم في صحيحه... «..أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت (فحزنت) فاطمة على أبي بكر في ذلك. قال: فهجرته فلم تكلمه حتَّى تُوفيت»[٢].

❁ قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

(س) ما علاقة الآية بما سبق؟

(ج) الآية المباركة والآيتان التاليتان لها، تتحدث حول مصارف الفيء الستة الذي ذكرتها الآية السابقة وإنها أوضحت المقصود من اليتامى والمساكين وابن السبيل مع التأكيد على الأخير ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ حيث يشكلون أكبر رقم من

---

(١) صحيح مسلم: ج٣ ص١٣٨٠ ح٥٢ عن كتاب الجهاد.

(٢) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٧٨.

عدد المسلمين المهاجرين في ذلك الوقت بعد أن تركوا أموالهم ووطنهم، فالآيات بدل عن قوله تعالى: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ وإنه تعالى وصفهم بأمور ستة وهي:

١ ـ أنهم فقراء.

٢ ـ مهاجرون.

٣ ـ أخرجوا من ديارهم وأموالهم، أن كفار مكة أجبروهم على الخروج من ديارهم.

٤ ـ ﴿..يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً..﴾ في الآخرة.

٥ ـ ﴿وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ بأنفسهم وأموالهم.

٦ ـ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

(س) قال الفخر الرازي في تفسيره: وتمسك بعض العلماء بهذه الآية على إمامة أبي بكر، فقال هؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار كانوا يقولون لأبي بكر يا خليفة رسول الله، والله يشهد على كونهم صادقين، فوجب أن يكونوا صادقين في قولهم يا خليفة رسول الله، ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بصحة إمامته، فهل يمكن قبول هذا الرأي؟

(ج) نقول للفخر الرازي:

١ ـ أين أنت من الآية السابقة لهذه الآية وهو قوله (تبارك وتعالى): ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الآية المباركة تأمر المسلمين بالانقياد التام والكامل لرسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، وتحذر من مغبة الخروج عن طاعته. وأنه ﷺ لا يمكن له أن يخرج من الدنيا دون أن يوصي بالأمور المهمة للمسلمين لاسيما بأمر القيادة والخلافة.

٢ ـ هل يعلم المسلمون بأن أبا بكر يملك الأهلية والقدرة الكاملة على تحمل مسؤولية قيادة الأمة الإسلامية من بعد الرسول ﷺ مباشرة، أم أنه أمر لا يعلم بأهميته إلا الله ورسوله، لا شك أنهُ أمر كبير، لا يمكن للمسلمين الجديدي العهد بالإسلام أن يبتوا فيه ويقرروا من دون أن يأتي أمر من الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ هل التخطيط لمستقبل الإسلام والمسلمين من مهمات وواجبات المسلمين أم من خصوصيات الله (تبارك وتعالى) ورسوله ﷺ. لا شك أنه لا يمكن للمسلمين الذين كانوا يعبدون الأصنام بالأمس أن يعرفوا ويقروا ما هو خيرٌ للإسلام والمسلمين.

٤ ـ إن المصادر المهمة للفرق الإسلامية كصحيح البخاري ومسلم وغيره تذكر أخباراً عن النبي ﷺ في حق الإمام علي عليه السلام تدعو إلى ترجيحه لتولي منصب الخلافة من بعده دون غيره من الأصحاب منها. روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والحافظ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) وغيرهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو وزن إيمان علي وإيمان أمتي لرجح إيمان علي على إيمان أمتي إلى يوم القيامة».

روى المير علي الهمداني، الفقيه الشافعي، في كتابه (مودة القربى) أخباراً متضافرة في أفضلية الإمام علي عليه السلام على جميع الناس من بعد رسول الله ﷺ فقد روى عن عبد الله بن عمر في خبر طويل عن سلمان، قال في آخره: إنَّ النبي ﷺ قال له: «وإني أوصيتُ إلى علي عليه السلام وهو أفضل مَن أتركه بعدي».

وروى العلامة الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) عن عطاء قال: «سألت عائشة عن علي عليه السلام، فقالت: ذلك خيرُ البشر، لا يَشُكُّ فيه إلاّ كافر»[1] وهناك آلالاف من الأحاديث في كتب الفرق الإسلامية المختلفة تذكر

---

(١) ليالي بيشاور: ص٣٨٦.

أفضلية وعظمة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، فهل يصح بعد هذا تسليم أمور الخلافة إلى من لا يملك شيئاً من العلم والإيمان وقد أسلم قبله خمسون رجلاً.

روى الطبري في تاريخه عن محمد بن سعد بن الوقاص قال: سألت أبي: هل إنَّ أبا بكر أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين رجلاً...

وذكر أيضاً... ولقد أسلم قبل عمر بن الخطاب خمسة وأربعون رجلاً وإحدى وعشرون امرأة[1].

(س) هل حصل تهجير للمسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وآله كما يحصل اليوم من قبل الطغاة والظالمين؟

(ج) يستخدم الطغاة والظالمون في كلِّ عصر ومصر مختلف الأساليب اللاإنسانية في الضغط على الأحرار والمؤمنين في سبيل زعزعة استقرارهم ومعيشتهم الطبيعية، ولكي يثنوهم عن إيمانهم ومواقفهم الإنسانية، فتارة يضغطون عليهم نفسياً وروحياً حتى يجعلون الفرد مسجوناً مكبوتاً لا يستطيع النُطق حتى مع أقرب الناس إليه، وتارة يخرجونهم من ديارهم وأموالهم حتى يجبروهم على الخروج والهجرة إلى مكان آخر، هذا ما فعله كفار قريش مع المؤمنين بالرسالة الإسلامية كذلك يستخدم الطغاة في عصرنا الحاضر مختلف الأساليب في محاربة الإسلام والمسلمين، فلا يجد المؤمنون سبيلاً إلاّ السير في أرض الله الواسعة، مفضلين ذلك على العيش الذليل في ظل الأنظمة الجائرة، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**

(١) راجع المصدر.

﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾(١).

(س) كيف يجد المهاجر الخير والسعادة بعد أن يترك أهله ووطنه وكل ما بناه وجمعه خلال حياته؟

(ج) بما أن المؤمن يعلم بأن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى فلذا فهو في كامل الاطمئنان والسعادة فلا يقلق على شيء من الأمور الدنيوية، إذ فكما رزقه الله سبحانه وتعالى في وطنه، فكذلك يرزقه في الأماكن الأخرى التي ينتقل إليها، وهذا ما تعهد به رب العزة تبارك وتعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٢)، ثم إن الهدف الكبير الذي يطلبه المؤمن من هجرته هي الحياة الحرة الكريمة الممزوجة بالإيمان الكامل بالله سبحانه وتعالى ورسوله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام. ولا يقصد من هجرته هو الحصول على الدنيا ولذاتها، فلو كان يقصد ذلك لبقي في مكانه دون أن ينتقل منه.

❁ قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ..﴾

(س) هل يمكن للأغنياء أن يهاجروا في سبيل الله سبحانه وتعالى؟

(ج) نعم يمكن للغني أن يهاجر في سبيل الله تعالى ويترك الدنيا وما فيها وراءه وذلك إذا كان غني النفس، ولكن إذا كان فقير النفس، فإنه لا يستطيع الابتعاد عن أمواله وشهواته قيد أنمله، بل يبقى جاثماً على ما جمع من الحرام والبخل، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا يجتمع المال إلا

(١) سورة النساء: ٩٧.

(٢) سورة هود: ٦.

من البخل أو الحرام»، فينظر إلى أمواله بين الآونة والأخرى فيزداد سروراً، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لمُزَةٍ ❖ الَّذِي جمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ❖ يحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ❖ كَلاّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ...﴾ ثم إنه يضحي في سبيل الحفاظ على غناه الكاذب بكل المبادئ والقيم الإلهية. جاء في الحديث «البخيل سخيٌ بعرضِهِ».

(س) ما هي الأهداف التي يجب أن تكون وراء الهجرة الصالحة؟

(ج) ذكر القرآن الكريم ثلاثة أمورٍ للهجرة الصالحة وهي:

١ ـ البحث عن السعادة الحقيقة، كما قال عز وجل: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ﴾ ولا تكون إلا بيده (عز وجل). قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، والسعادة الحقيقة هي في العزة والكرامة والطاعة لله تعالى. قال عز وجل: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ الحصول على رضوان الله تعالى، ولهذا قال: ﴿وَرِضْوَاناً﴾ إذ يتعدى هدف المهاجر الأمور المادية، حيث يطمح في الحصول على رضوان الله سبحانه وتعالى، سُئل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: جلوسك في المسجد أحبُ إليك أم جلوسك في الجنة، فقال عليه السلام جلوسي في المسجد، فقيل له لماذا يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: جلوسي في الجنة رضى نفسي، وجلوسي في المسجد رضى ربي، وإن رضى ربي أحب إلي من رضى نفسي.

٣ ـ نصرةُ الحق، قال عز وجل: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾. وتتحقق نصرةُ الله ورسوله بالسعي لأجل تطبيق شريعة الله سبحانه وتعالى بين خلقه، وإن المؤمن الصادق هو الذي يتعدى تفكيره حدود نفسه ورغباته فيحمل هَمَّ وألم مجتمعه، ويجاهد في نشر الخير والهداية فيهم.

❁ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء قوله تعالى؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتمدح الأنصار ولتطيب قلوبهم، ولتمجد موقفهم عندما أخذ المنافقون ينشرون الإشاعات الباطلة بين صفوف المسلمين وذلك لزعزعة قوتهم ووحدتهم، حيث اتهموا النبي ﷺ بالانحياز للمهاجرين، لكنه ﷺ جمعهم وقال لهم: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دروكم وأموالكم، وقسمتُ لكم من الغنيمة كما قسمت لهم (أي أساوي بينكم) وإن شئتم كانت لهم الغنيمة • ولكم دياركم وأموالكم (أي يخرجون من أموالكم ودوركم ويصير لهم الفيء خالصاً) فقالوا: لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ولا نشاركهم في الغنيمة»[1]، ففشل المنافقون.

(س) كيف قالت الآية المباركة عن الأنصار بأنهم هم الذين أخذوا بالإيمان قبل المهاجرين، ولكن المهاجرين هم السابقون في ذلك؟

(ج) إن الأنصار هم السابقون إلى تكوين المجتمع الإيماني المتكامل، بينما المهاجرون سبقوا الأنصار بالإيمان والتحق بهم آخرون. وإنه تعالى سمى المدينة بالإيمان، لأن الإيمان ظهر فيها وقوى.

❁ قال تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾

(س) كيف تجلى الحب الصادق من الأنصار لإخوانهم المهاجرين، حتى وصفهم الله سبحانه وتعالى بذلك؟

---

(١) التفسير الكبير: ص٢٨٧.

(ج)١ - انهم اعتبروا المهاجرين إخوانهم في الدين ولهذا أحبوهم لله (تعالى) ولم يروا لأنفسهم أي فضيلة وميزة عليهم، فلم يعتبروهم غرباء أو لاجئين أو غير ذلك، بل قاسموهم ما عندهم ورضوا بالغنيمة لهم أيضاً.

٢ - لم يضمروا في نفوسهم شيئاً من الحسد والغيظ عليهم بسبب ما حصلوا عليه من الغنائم، قال تعالى: ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾.

٣ - آثروا المهاجرين على أنفسهم بالرغم من حاجتهم وفقرهم. قال عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

(س) لماذا أطلق القرآن لفظةَ (الحاجة) على الحسد والغيظ، في قوله تعالى: ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾.

(ج) أطلق لفظة الحاجة على الحسد والغيظ والحرارة، لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة، فأطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكفاية[١].

۞ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(س) ما هو الفرق بين الشُحّ والبُخل؟

(ج) الشح بخل مع حرص[٢]، روى الفضل بن أبي قرة السندي أنه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أتدري من الشحيح؟ قلت هو البخيل، فقال: الشُح أشد من البخل، إنَّ البخيل يبخل بما في يده، والشحيح يشح بما في أيدي الناس وعلى ما في يده، حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً إلا تمنى أن يكون له بالحل والحرام، ولا يقنع بما رزقه الله عز وجل»[٣].

---

(١) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٨٧.

(٢) مفردات الراغب.

(٣) نور الثقلين: ج٥ ص٢٩١.

(س) لماذا اعتبر القرآن الكريم النجاة من شح النفس يسبب الفلاح للإنسان؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «البخل جامع لمساوئ العيوب وهو زمام يُقاد به كُلُّ سوء»[١]، ثم إنَّ الشُّح أشد من البخل كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام وهو الذي يتمنى انتقال النعم التي في أيدي الناس إليه سواء كان عن طريق الحلال أم الحرام، فظهور هذه الحالة الرذيلة في النفس، تؤدي إلى هلاكها ودمارها ثم دمار المجتمع، بينما القضاء عليها ومحوها من النفس الإنسانية يؤدي إلى فلاح الإنسان في الدنيا والآخرة، كما قال تبارك تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إذا لم يكن لله عز وجل في العبد حاجة ابتلاه بالبخل»[٢].

(س) كيف يستطيع الإنسان حفظ نفسه من الشُّح؟

(ج) التعبير القرآني بليغ للغاية، حيث قال: ﴿وَمَنْ يُوقَ...﴾ وهو فعل مبني للمجهول، حيث يدل على أن الذي يحفظ الإنسان ويحرره من رق من عبودية الذات هو الله (تبارك وتعالى) لا غيره، ويتحقق هذا الأمر بفعل التوكل عليه، والالتجاء إليه من شر النفس الأمارة بالسوء، ثم التوجه إلى كتابه العزيز، وتقبل نصائح الصالحين[٣].

---

(١) نهج البلاغة: ح ٣٧٧ (شرح الشيخ محمد عبده).

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٢٩١.

(٣) من هدي القرآن: ج١٥ ص٢٤٩.

۞ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

(س) من هم المقصودون في البعدية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾؟

(ج) إنه عطف على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد، وقيل: التابعون بإحسان، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة[1].

(س) لماذا يطلق المؤمن المغفرة لنفسه أولاً ثم للذين سبقوه في الإيمان، كما قالت الآية المباركة؟

(ج)١ ـ إن شرط طلب المغفرة للآخرين مرتبط بطلبها للإنسان نفسه، إذ لا يسمح الدعاء من القلب المملوء بالذنوب، فالذي يطلب الطهارة للآخرين لابد أن يأتي بالطهارة لنفسه أولاً.

٢ ـ الإنسان مسؤول عن نفسه أولاً ثم الآخرين، فإذا استطاع إنقاذ نفسه من المرديات والمهالك، فإنه يستطيع بعدها إنقاذ الآخرين.

٣ ـ يحترم المؤمن الذين سبقوه بالإيمان ويطلب لهم المغفرة وعلو الدرجات وذلك لأن لهم دوراً في حفظ الإسلام ونشره، فلابُدَّ أن لا يُنسى جهدهم وسعيهم، لذا فإن طلب المغفرة لهم هو نوع من الشكر الجميل لأعمالهم ومواقفهم النبيلة تجاه الآخرين، جاء في الحديث الشريف «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق».

٤ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أسرع الدعاء نجاحاً للإجابة دعاء

---

(١) التفسير الكبير: ص٢٨٨.

الأخ لأخيه بظهر الغيب، يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكلٌ به: آمين ولك مثلاه»[١].

(س) هل يمكن لنا طلب المغفرة لجميع من سبقنا بالإيمان كما قالت الآية المباركة؟

(ج) إن طلب المغفرة إنما يكون لجميع من هو على الإسلام والإيمان ما لم يتجاهر بارتكاب الكبائر وهكذا يمكن لنا طلب المغفرة لجميع من سبقنا بالإسلام والإيمان وقد ارتحل من هذه الدنيا ولكن بشرط أن لا يكون قد مات مشركاً أو كافراً بما أمر به الله (تعالى) ورسوله، ولا يمكن طلب المغفرة لمن حارب رسول الله صلى الله عليه وآله بمحاربته لأهل بيته الطاهرين عليهم السلام فهل الذين قاتلوا الإمام علياً عليه السلام في معركة الجمل أناسٌ محترمون، وقد سمعوا قول النبي صلى الله عليه وآله في حق الإمام علياً عليه السلام أنه قال: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني»؟ وهل الذين أبغضوا فاطمة الزهراء عليها السلام ومنعوها حقها أناس صالحون يمكن أن يطلب لهم المغفرة؟ لا شك لا يمكن إطلاق لفظة المؤمنين عليهم ولا لفظة المسلمين، وإنهم ليسوا مشمولين بالآية المباركة وليس الذي يذكرهم بسوء بخارجٍ من جملة المؤمنين كما يدعي الفخر الرازي في تفسيره[٢].

۞ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

(س) ما هذه الأخوة الموجودة بين المنافقين والكفار من أهل الكتاب؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٦ ص٦٠.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٢٨٨ (راجع).

(ج) يظهر أن الكفار يتآخون أيضاً كما يتآخى المؤمنون ولكن أخوتهم تكون في:

١ ـ الكفر، حيث إن المنافقين واليهود مشتركون في عموم الكفر بالنبي محمد ﷺ وبأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

٢ ـ المنافع المشتركة، فهما المنهومان اللذان لا يشبعان من شهوات الدنيا بما نسوا الله سبحانه وتعالى. قال عز وجل ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾، قال الإمام علي عليه السلام: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال»[1].

٣ ـ مواجهة الحق وأهله، للحفاظ على المصالح الدنيوية، وبالفعل فقد تآخى الكفر اليوم بجميع فصائله وطاقاته على مواجهة الحق وأهله ولكنهم إذا استطاعوا الآن أن يصولوا ويجولوا قليلاً، فإن الدولة ستكون للحق، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن للباطل جولة وللحق دولة، وستأتي هذه الدولة عما قريب كما وعد الله (عز وجل) عباده الصالحين بها وسيظهر دينه على جميع الأديان ولو كره الكافرون قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ ولا يظهر الحق على الباطل إلا مع ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً».

❁ قال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾

(س) هل يمكن للمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله أن يظهر الحقد والعداوة في قلوبهم تجاه إخوانهم المؤمنين كما تُشير الآية المباركة؟

(ج) جاء في الحديث الشريف: «آخر ما يخرج من قلوب الصديقين الحسد».

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

لا شك أن الحسد الذي يظهر في النفس، ناشئ من حب النفس أو الأنانية فان إبليس ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فكانت نتيجته أنه طرد من الجنة، وإن التخلص من هذه الرذيلة تجاه الآخرين من الأمور الصعبة التي تحتاج إلى توفيق إلهي، وإرادة قوية، والمؤمنون يعلمون بأنهم لا يبلغو درجة التخلص من الحقد والحسد تجاه الآخرين إلا برأفة الله ورحمته، ولهذا السبب يقولون في دُعائهم ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

(س) لماذا تآخى بعض أهل الكتاب مع المنافقين، وعندهم كتاب الله الذي يدعوهم إلى الخير والصراط المستقيم؟

(ج) إنهم كفروا بما أُنزل إليهم وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، لهذا أخذوا يتربصون الدوائر بالمؤمنين وبالمستضعفين في الأرض لكي يبسطوا نفوذهم وقدرتهم عليهم، لأجل تأمين منافعهم وشهواتهم، وهذا ما نراه بصورة واضحة في عالمنا اليوم.

(س) هل يتحد المنافقون والكفار قلباً وقالباً كما يتحد المؤمنون مع بعض أم إن اتحادهم مختلف؟

(ج) بما أن قلوب المنافقين متفرقة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ لذا فإن جميع أعمالهم وقراراتهم متزلزلة تميل مع الرياح أينما مالت، ولهذا تراهم يعيشون حالة الوسط بين الإيمان والكفر، دون أن يأخذوا بخطٍ واحد في مسيرتهم الحياتية، قال تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ﴾[2]، ونراهم ﴿يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٢٥٥ (مع تصرف).

(٢) سورة النساء: ١٤٣.

أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

(س) لماذا يؤكد القران في تبيين صفات المنافقين؟

(ج) يسعى القرآن الكريم في كثير من آياته إلى تبيين الشريحة الإنسانية المنحطة التي اختارت الضلال على الهدى وسعت في الحصول على لذائذ الدنيا بمختلف الصور والأساليب ولعل التأكيد على إظهارهم للمجتمع الإسلامي جاء للأسباب التالية:

١ ـ كشف هويتهم بشكل كامل للمسلمين لأجل الحذر منهم واتخاذ الموقف المطلوب والصارم منهم وذلك لخطورتهم الكبرى على الإسلام والمسلمين، وما أكثرهم اليوم، حيث نراهم في أكثر الأماكن وأهمها، وإنَّ صفاتهم تتطابق مع صفات المنافقين الذين يذكرهم القرآن الكريم.

٢ ـ فيه تحذير للمسلمين بعدم الدخول في المستنقع الذي دخلوه حيث خسروا بدخولهم هذا الدنيا والآخرة.

(س) كيف أظهرت الآيات زيفهم وشخصيتهم المتلونة؟

(ج) إنهم وعدوا اليهود بثلاثة أمور دون أن يفوا بواحدة منها وهي أنهّم قالوا لَهُم:

١ ـ إذا أخرجتم من أرضكم، فأننا سوف لا نبقى مكتوفي الأيدي نتطلع إلى فراغ مكانكم ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾.

٢ ـ إذا صدر أمرٌ ضدكم فإن موقفنا الرفض لأعدائكم والمساندة لكم ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً﴾.

---

(١) سورة الحشر: ١١.

٣ ـ إذا واجهتم تدخلاً عسكرياً وقتالاً، فإننا نساندكم، وندافع عنكم بكُلّ القدرات والطاقات الموجودة[١]، ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

(س) لماذا يمتلك المنافقون حالة الهزيمة والانحدار الكبير في نفوسهم حيث عبَّر القرآن الكريم عنهم بـ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾؟

(ج) قال تعالى: ﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾.

(س) أي شيء لا يفقهون وما علاقة الفقه بامتلاك الروح الكبيرة والموقف السليم؟

(ج) إنهم لا يفقهون بأن الخوف يجب أن يكون من الله تعالى لا من الناس، وإنه هو الوحيد الذي يستحق ذلك، وغيره عبد له وصائر إليه، فلو علم الناس بشكل عميق بأن جميع الأمور بيد الله (تبارك وتعالى) لرأوا السعادة في الدنيا والآخرة قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «مَن خافَ اللهَ أخافَ اللهُ منه كلَّ شيء، ومن لم يخف الله، أخافه الله من كل شيء»، ولهذا ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[٢].

وما سبب هذه الهزيمة والضعف التي نراها في المسلمين اليوم أمام اليهود

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٩٠ (مع تصرف).

(٢) سورة آل عمران: ١٥١.

والقوى الظالمة إلا بسبب خواء القلوب من الإيمان الصادق بالله سبحانه وتعالى.

۞ قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾

(س) لماذا قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ..﴾ ولم يقل (في قلوبهم)؟

(ج) وذلك للإشارة إلى خلو صدورهم من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولتمكن الشيطان منها بشكل كامل، فلو كان الإيمان موجوداً في صدورهم لتركوا النفاق والتعاون مع أعداء الإسلام، خوفاً من عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة. قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في صفات المتقين: «عَظُمَ الخالقُ في أعينهم فصَغُرَ ما دونه في أنفسهم..»[١].

۞ قال تعالى: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾

(س) الآية في معرض الذم للمنافقين واليهود حيث إنهم لا يواجهون المسلمين للقتال إلا بعد التحصن الشديد أو امتلاك الساتر الذي يقيهم الموت، ولكن أو ليس هذا الأمر من الأمور الجيدة والمناسبة التي يجب مراعاتها في الحروب والمعارك؟

(ج)١ ـ قال تعالى ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ إنهم فيما بينهم أقوياء، ولكن عند مواجهة المؤمنين يكونون في غاية الضعف والخواء، لأنهم لا يريدون الموت

---

(١) نهج البلاغة.

بل يخشون الوقوع به، فلو كانوا يحبون الموت ولقاء الله سبحانه وتعالى لتسابقوا في طلبه من دون أن يبحثوا عن الأمور الواقية ولكنهم يعلمون أنهم على باطل وضلال، والمؤمنون على الحق والإيمان، لذا لا يُقاتلون إلا بعد التحصن الشديد. قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[١].

٢ ـ إنهم إذا اجتمعوا فإنما تجتمع أبدانهم فحسب دون قلوبهم، التي هي الأساس في المعارك والحروب، ولهذا ربنا سبحانه وتعالى يحب المقاتلين المجتمعة قلوبهم، ولا تجتمع القلوب إلا إذا كان هدفها واحداً قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[٢].

(س) هل إن قوله تعالى: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ..﴾ يعني بأنهم يقاتلون بصورة انفرادية أو أنهم يقومون بعمليات انتحارية مثلاً؟

(ج) إن قوله عز وجل: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً..﴾ ليس معناه أنهم يمكن أن يقاتلوا بصورة انفرادية، بل المقصود هو أنَّ كلمتهم تتفق على القتال وذلك إذا توافرت الأمور الواقية لهم عن الموت كالقرى المحصنة والجدر، بينما الذي يقاتل بصورة انفرادية هو الذي امتلأ قلبه بالإيمان وبالشوق للقاء الله سبحانه وتعالى، فلذا يتمنى الموت والشهادة في سبيله، ينقل المؤرخون أن عابس بن شبيب الشاكري هو أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لما حان وقت نزوله

---

(١) سورة البقرة: ٩٦.

(٢) سورة الصف: ٤.

للقتال نزل إلى ساحة المعركة دون أن يحمل درعاً معه لكي يدفع عنه السهام والرماح، واكتفى بالسيف، فقالوا له: يا عابس هل جننت؟ فقال: «إنَّ حُبَّ الحسين اجنني» وكم استطاع المؤمنون إيقاع الهزيمة بأعداء الإسلام وذلك لامتلاكهم مثل هذه الروح العالية المشتاقة للقاء الله سبحانه وتعالى، وإذا ما قام بعض الشواذ الضالون بمثل هذه العمليات فيقومون بقتل الأبرياء ممن لا ذنب لهم، إنما يعود ذلك لعفونة عقولهم وضلالها عن الحق والصواب. ولوقوعهم في شباك اليهود الحاقدين الذين يقولون لهم بأنكم لو قتلتم أيَّ عدد من الشيعة ثم قُتلتم أثناء المواجهة والعملية فسوف يستقبلكم النبي ﷺ بعد اللحظة الأولى من موتكم وتجلسون معه على مأدبة الإفطار أو الغذاء أو العشاء حسب ساعة الموت. لا شك أنه ليس وراء هذه الحوادث الموجودة في بلداننا الإسلامية إلا الشبكات اليهودية والصليبية التي تخطط وتعمل ليل نهار لأجل القضاء على الإسلام والمسلمين.

❁ **قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾**

(س) ما فائدة ذكر الآية المباركة؟

(ج) في الآية تشجيع للمؤمنين على قتال أعدائهم، بأن أعداءهم وهم أعداء الإيمان والحق، لا يملكون قاعدة رصينة لكي يثبتوا عليها ويكونوا بها أقوياء لهذا فإن اجتماعهم الظاهري يجب أن لا يخدع المؤمنين حيث أن وراءها قلوب متناحرة ومتنافرة، استحبت الحياة الدنيا على الآخرة قال (عز وجل): **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾**[١].

(س) لماذا يكون المنافقون واليهود شديدي العداوة والبطش فيما بينهم كما

(١) سورة فصلت: ١٧.

قال تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾، بينما هم ضعفاء أمام المؤمنين؟

(ج) سبب شدة البطش والعداوة بينهم، هو اختلاف قلوبهم وأهوائهم كما قال عز وجل: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ وذلك لحبهم الشديد للمنافع الدنيوية، ولأن المنافع المادية غالباً تكون متعارضة ومختلفة، لهذا تبرز الاختلافات والشحناء فيما بينهم، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾[1]، بينما يكونو ضعفاءً ومتزلزلين أمام المؤمنين وذلك لاختلاف قواعد كلا الطرفين، فالمؤمنون يستندون على قواعد وأصول ربانية راسخة وعميقة بينما يستند المنافقون واليهود على بنيانٍ أسس على شفا جرف هارٍ ولهذا تجد حياتهم في ضياع وانهيار قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالمِينَ﴾[2].

❁ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(س) من هم الذين كانوا قبلهم؟

(ج) الآية خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره: مثلهم كمثل الذين من قبلهم.. المراد من الآية المباركة هو أنهم مثل بني النضير من اليهود في نقضهم العهد ووعد المنافقين لهم بالنصر كذباً، ومثل الذين من قبلهم في زمان قريب وهم بنو

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) سورة التوبة: ١٠٩.

قينقاع، رهط آخر من يهود المدينة، نقضوا العهد بعد غزوة بدر فأجلاهم رسول الله ﷺ إلى أذرعات، وقد وعدهم المنافقون أن يكلموا النبي ﷺ فيهم، ويمنعوه من إجلائهم فغدروا بهم، فذاق بنو قينقاع وبال أمرهم ولهم في الآخرة عذابٌ أليم، وقيل: هم كفار مكة يوم بدر وما تقدم أنسب للسياق، والمثل لبني النضير لا المنافقين كما يبينه السياق[1]

﴿ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

(س) كيف نصل المثل بما سبق؟

(ج) ضرب الله تعالى لنا مثلاً آخرً لليهود والنصارى فقال: مثل المنافقين الذين غروا بني النضير بقولهم ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ ثم خذلوهم وما وفوا بعهدهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ ثم تبرأ منه في العاقبة.

(س) من هو ذلك الإنسان الذي خذله الشيطان وتبرأ منه بعد أن أمره بالكفر بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُر...﴾؟

(ج)١ ـ مطلق الإنسان الذي يكون تحت تأثير الشيطان، ينخدع بأحابيله ووعوده الكاذبة، فيسير به في طريق الكفر والضلال، ويتركه في الساعة الحاسمة ويتبرأ منه.

٢ ـ قيل: إنه أبو جهل وأتباعه حيث إنهم تفاعلوا مع الوعود الكاذبة للشيطان في غزوة بدر، حتى ذاقوا وبال أمرهم بالهزيمة والانكسار. قال تعالى:

---

(١) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢١٣.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

٣ ـ وقيل المقصود هو (برصيصيا) عابد بني إسرائيل، الذي انخدع بالشيطان وكفر وفي اللحظات الحاسمة تبرأ الشيطان منه[2].

الرأي الأول هو الأكثر انسجاماً مع مفهوم الآية المباركة، والآخران مصداقان من مصاديق الآية المباركة.

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) جاءت الآية لتحذر المؤمنين من مغبة الوقوع فيما وقع فيه اليهود والمنافقون، حيث لم يتقوا الله تعالى ولم يحذروه في أعمالهم ومستقبلهم واقتصرت أفكارهم وعقولهم على شهوات الدنيا ولذائذها، فكانت النتيجة أن أنساهم الله أنفسهم بما نسوه، فلم يختاروا ما فيه خير أنفسهم وصلاح حياتهم وآجالهم فتاهوا وهلكوا[3].

(س) لماذا تقدم الأمر بتقوى الله عز وجل على النظر إلى المستقبل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾؟

(ج) لأنه الأمر الأساسي والمهم الذي يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار قبل كل

---

(١) سورة الأنفال: ٤٨.

(٢) الأمثل: ج١٨ ص١٩٧.

(٣) الميزان: ج١٩ ص٢١٦.

شيء ولا شك إن الذي يفكر بحياته المستقبلية الصالحة هو الذي يؤمن بالآخرة ويعمل لها بالشكل المطلوب، لهذا تقدم الأمر بتقوى الله سبحانه وتعالى على النظر إلى الحياة الآخرة في الآية المباركة.

(س) ما أهمية التقوى في حياة الإنسان؟

(ج) التقوى درجة أرفع من الإيمان، وفي الآية تحريض للمؤمنين لتنمية إيمانهم ليصل بهم إلى مرحلة التقوى والخوف من الله سبحانه وتعالى، ويحتاج المؤمنون إلى حالة التقوى لأجل ضغط الخطوط الضاغطة على إيمانهم الداعية إلى الخروج من دائرة الإيمان والصلاح إلى الكفر والمعصية وما تدعو إليه الوساوس الشيطانية، ويتمكن الإنسان من التحصن بحصان التقوى وذلك إذا اهتمَّ بجميع الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أشد الذنوب ما استهان بها صاحبها»[١].

وقال الإمام عليه السلام: «إنَّ الله سبحانه وضع الثواب على طاعته، والعقاب على معصيته، ذيادة لعبادهِ عن نقمته، وحياشةً لهم إلى جنَّتِهِ».

۞ قال تعالى: ﴿..وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ..﴾

(س) ما هي الأمور التي يقدمها الإنسان لغد؟

(ج) جميع الأعمال والأفكار والأقوال والنيات التي تصدر من الإنسان، تسجل عليه وستعرض عليه يوم القيامة، وكأنما قدمها لهذا اليوم، قال تعالى: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ❖ كِرَاماً كَاتِبِينَ ❖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[٢].

وقال تعالى: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**[٣].

---

(١) نهج البلاغة: ح٣٤٨.

(٢) الانفطار: ١٠ — ١٢.

(٣) سورة ق: ١٨.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إنَّ مع كُلِّ إنسانٍ مَلَكين يحفَظَانِهِ فإذا جاء القدر خليا بَيَنَهُ وبيَنَه»[1].

(س) ما المراد من الغد في قوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾؟

(ج)١ ـ المراد به يوم القيامة، وإنما عبرَّ عنه بـ(الغد) للإشارة إلى قربه من الإنسان، كقرب الغد من اليوم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[2].

٢ ـ ويمكن أن يكون المراد منه هو الغد الحاضر أو الساعات المقبلة، إذ إن هناك جزاءً سريعاً يشاهده الإنسان في حياته الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[3]، وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالحُسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

(س) لماذا الدعوة إلى الاهتمام بغد، بقوله ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾؟

(ج) إنه الأمر الذي يحتاج إليه الإنسان بشكل كبير كما يحتاج إلى الهواء والغذاء، إنه غذاء الروح والسعادة الكبرى التي ينشدها، فإذا نظر الإنسان إلى غده وعمل له بما يرضي الله سبحانه وتعالى، فإنه سوف يرى الحياة الهانئة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة، وما عمر الإنسان إلا فرصة ثمينة، يمكن بها الوصول إلى ذلك. قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «إضاعةُ الفرصةِ غُصة».

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) سورة المعارج: ٧.

(٣) سورة الإسراء: ٧.

وقال رسول الله ﷺ: «تصدقوا ولو بصاع من تمر، ولو ببعض صاع، ولو بقبضة، ولو بتمرة، ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبةٍ، فإن أحدكم لاقى الله فيقال له: ألم أفعل بك؟ ألم أفعل بك؟ ألم أجعلك سميعاً بصيراً؟ ألم أجعل لك مالاً وولداً؟ فيقول: بلى. فيقول الله تبارك وتعالى: فانظر ما قدمت لنفسك، قال: فينظر قدامه وخلفه، وعن يمينه وشماله فلا يجد شيئاً يقي به وجههُ من النار»(١).

(س) هل الخطاب موجهٌ للكافر كما أنه موجهٌ للمؤمن؟

(ج) إذا لم يكن الخطاب موجهاً للكافر كما للمؤمن، فهو مكلف في جميع الأحوال في النظر إلى حياته المستقبلية، بما يعلم بمجيئها كاملاً في قرارة نفسه حيث قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لا يَصْلاهَا إِلاّ الأَشْقَى﴾ والكافر قادرٌ على تغيير مسيرة حياته بصورة كاملة ما دامت روحه في بدنه، ولكن إذا حان حين خروجها يفقد عندها القدرة على العمل الصالح لحياته الباقية، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٢).

۞ **قال تعالى: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾(٣)**

(س) لماذا جاءت كلمة ﴿نَفْسٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ بصيغة النكرة؟

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٢٩٢.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٣) سورة النساء: ٢٧.

(ج)١ ـ قيل إنها جاءت بهذه الصيغة وذلك للتقليل وفيها عتابٌ وتقريع للمؤمنين، إذ إن الغالبية من أهل الإيمان يبذلون أوقاتهم لأغراض الدنيا وتدبير المعيشة وإصلاح أمور الحياة، فكأنما الذي يُفكر في غده أو في حياته الباقية التي سيصير إليها قليلون جداً[١]، بينما نرى النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يأمروننا بالعمل للآخرة بمقدار ما نعمل للدنيا.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

٢ ـ وقيل: يمكن أن تكون هنا بمعنى كل نفس، أي إنَّ كل إنسان يجب أن يُفكِرَ في غده، ولا يتوقع من الآخرين أن ينجزوا له أعماله ويقضوا له واجباته من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، ولا يتوقع أنه سوف يدخل الجنة من دون الإيمان والعمل الصالح، قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا ينال شفاعتنا من استخف بصلاته»[٢].

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

(س) لماذا جاء الأمر بتقوى الله (سبحانه) بعد الأمر بالنظر إلى الأعمال المقدمةِ لغد؟

(ج) إن المراد من التقوى الثانية هي في مقام المحاسبة والنظر في الأعمال المعدة من حيث إصلاحها وإخلاصها لله سبحانه ومن ثم حفظها عما يفسدها ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) الميزان: ج١٩ ص٢١٨.

(٢) تفسير الأمثل: ج١٨ ص١٩٩ (مع تصرف).

وهو تعليل لهذه التقوى[1].

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً..﴾ فالعمل الحسن هو المطلوب من الإنسان وإن قلّ.

۞ قال تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) أمرت الآية السابقة المؤمنين بتقوى الله والاستعداد الكامل للحياة الآخرة القريبة من الإنسان، ثم جاء قوله عز وجل: **﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ..﴾** وهم الذين لم يتقوه ولم يستعدوا للقائه ولم يستشعروا رقابته على أعمالهم.

(س) لماذا عبرت الآية المباركة عن (عدم تقوى الله سبحانه وتعالى) بالنسيان له؟

(ج) يشير التعبير إلى أنّ الإيمان بالله (تعالى) وذكره مودع في فطرة الإنسان وذاكرته وأنها تدعوه إلى السعي في التقوى والعمل للحياة الخالدة في الآخرة، ولكنه يحيد عن ذلك بسبب غفلته وحبه للشهوات العاجلة قال تعالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾**.

(س) كيف يمكن القول بأن الكافر قد نسي الله تعالى، بينما الكثيرون منهم يذكرون الله في كثير من الحالات، قال تعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ**

---

(١) المصدر.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنما نسوا الله في دار الدنيا ولم يعملوا بطاعته»[١].

قال تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾

(س) كيف ينسى الإنسان نفسه نتيجة نسيانه لله عز وجل؟

(ج)١ ـ قال المقاتلان نسوا حق الله فجعلهم ناسين حق أنفسهم حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده[٢]

٢ ـ يعيش في ظلمات وتخبطات مستمرة دون أن يشعر، فلا يجد هدفاً ثابتاً ولا لذة حقيقية في حياته لعدم رؤيته للأمور نظرة سليمة.

٣ ـ قيل: إنه تعالى يريهم الأهوال العظيمة يوم القيامة مما يؤدي بهم إلى نسيان أنفسهم[٣] قال تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى..﴾[٤].

(س) ما هو الأمر الذي يؤدي بالإنسان إلى نسيان الله سبحانه وتعالى؟

(ج) عدم معرفة النفس هو الذي يؤدي بالإنسان إلى اتخاذ قرارات بعيدة عن الحقيقة والصواب حتى تدفعه إلى تجاوز حده والسقوط في هاوية الضلال والهلاك في الدنيا والآخرة.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربَّه».

(س) هل يمكن للمؤمن أن ينسى الله سبحانه وتعالى؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٣ ص٩٩.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) المصدر.

(٤) سورة الحج: ٢.

(ج)١ ـ عندما يخرج من دائرة الإيمان والعمل الصالح عندها سوف ينسى الله سبحانه وتعالى فيعيش في ظلمات وتخبطات حتى يعود إليه ثانيةً.

٢ ـ عند الإحساس بالعظمة والكمال والفضل ولهذا نقرأ في الدعاء «ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً».

٣ ـ عندما يملك مقداراً من الإمكانيات المادية. قال تعالى: ﴿كَلاّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ❖ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[١].

۞ قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجُنَّةِ أَصْحَابُ الجُنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

(س) ما فائدة مجيء قوله تعالى؟

(ج)١ ـ جاءت الآية المباركة لتبعد الظن الخاطئ الذي قد يقع فيه البعض، بأنَّ الكافر سيكون في الآخرة مع المؤمن أيضاً كما كان عليه في الدنيا يعيش في بلد واحد وتحت سقف واحد، وكما عاش في الدنيا تحت رحمة الله تعالى، فإنه يكون كذلك أيضاً في الآخرة، جاءت الآية لتنفي هذا الظن ولتقول ليس الأمر هكذا، إذ فكما لا تستوي الجنة والنار ولا يستوي النور والظلام كذلك المؤمن والكافر.

٢ ـ إنَّ معرفة هذه الحقيقة تساهم في بعث الإنسان نحو الصلاح[٢].

۞ قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

---

(١) سورة العلق: ٦ ــ ٧.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

(ج) أشارت الآية السابقة إلى أصحاب الجنة وقالت بأنهم هم الفائزون، فكأن سائلاً يسأل كيف يمكن للإنسان أن يبلغ مرتبتهم ومنزلتهم؟ جاءت الآية المباركة لتقول: بالقرآن. إنه أفضل سبيل يوصل الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى وإلى جنان الخلد، حيث إنه لو أُنزل على الجبال لتصدعت، فكيف لا يتصدع قلب الإنسان ولا يستجيب لربه؟

(س) ما فائدة مجيء الآية المباركة؟

(ج)١ ـ جاءت الآية المباركة لتحرك نفوس الناس وقلوبهم، لتقول بأن هذا الكتاب المبارك له تأثير عميق جداً حتى على الجمادات، فلو كان الجبل مما يجوز أن ينزل عليه القرآن فأنزلناه عليه لرأيته ـ مع ما فيه من الغلظة والقساوة والعظمة وقوة المقاومة أمام الأعاصير والرياح ـ متأثراً متفرقاً من خشية الله، فإذا كان هذا هو حال الجبال، فالإنسان أحق بأن يخشع لله إذا تلاهُ أو تُلي عليه[١].

٢ ـ إن الجبل لا يخشع ولا يتصدع من القران بحروفه وورقه الجميل، إنما يتصدع من مضامينه العظيمة ودستوره الشامل لجميع أمور الحياة، وكذلك الإنسان فإنه يهتز ويخشع له لو أصغى إليه بقلبه وبجوارحه، بينما لا يمكن له الانتهال من فيضه الكبير لو اتخذ القرآن مجرد كتاب بركة واستخارة وقراءته للأموات[٢].

(س) قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ

(١) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٢١.

(٢) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٣) سورة الإسراء: ٤٤.

وَالطَّيْرَ..﴾[1] يتضح من قوله تعالى بأن الجبال لها شيء من الإحساس والشعور، فلماذا لا ينزل الله (تعالى) عليها القرآن لكي تخشع وتتصدع كما قال تعالى: ﴿...لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾؟

(ج)١ ـ إن التصدع والخشوع الروحي يطلبهما الله سبحانه وتعالى من سيد المخلوقات والجمادات وهو الإنسان، ولا يطلبهما من الأشياء التي خلقها لأجله، حيث إنها ليست بشيءٍ عنده، جاء في الحديث القدسي: «ما وسعتني أرضي ولا سماواتي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» وجاء في الحديث الشريف «قلب المؤمن عرش الله» وإنه تعالى لم يطلب العبادة إلا من الإنسان والجن. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

٢ ـ بما أن الهدف الأساسي من خلق الكون هو الإنسان، كما في الحديث القدسي: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي» فلهذا فلو تصدعت الجبال وتفرقت وهكذا المخلوقات الأخرى من خلال تكليفها ما لا تطيق فإنَّ الهدف الأساسي من الخلق سوف يُفقد، وذلك لاحتياج الإنسان إلى الجبال ما دام موجوداً على هذه الأرض، قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾، وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «... وَتَّدَ بالصخور ميدانَ أرضه بالصم الصياخيد».

٣ ـ الكلام مسوق سوق المثل مبني على التخيل والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

❁ قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ..﴾

(س) ما هي المناسبة من مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتنضم إلى الآية السابقة لتبين علة خشوع الجبل وتصدعه من خشية الله، كأنه قيل: وكيف لا وهُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ... إلى آخر الآيات[1].

(س) ما أهمية معرفة أسماء الله الحسنى؟

(ج)١ ـ أسماء الله هي وسائل معرفته، ومعرفته هي السبيل إلى قربه، والقرب من الله تعالى غاية كمال الإنسان[2]

٢ ـ إن معرفة أسماء الله الحسنى سبيل إلى معرفة ما يقابلها من أسماء النقص الموجودة في الإنسان[3].

عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «... اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف»[4].

٣ ـ إن معرفة الله بأسمائه الحسنى تحصن الإنسان من الإلحاد والابتعاد عن صراطه المستقيم، وذلك لأن جهل الإنسان ووساوس الشيطان تدفع الإنسان إلى تقديس غير الله واتباع الشركاء من دونه مما يجعله من الخاسرين فلا نجاة للإنسان من الشرك إلا من طريق تسبيحه وتقديسه وذكر أسمائه الحسنى. قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في صفات المتقين: «... عظم الخالِقُ في أعينهم فَصَغُرَ ما دونه في أنفسهم».

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نور الثقلين: ج٥ ص٢٩٥.

(س) ما هي وظيفة الإنسان عند مواجهة أسماء الله الحسنى؟

(ج) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لهشام بن الحكم: «يا هشام! الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد»[1].

(س) ما معنى الأسماء الحسنى التي جاءت في قوله عز وجل: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؟

(ج)١ ـ الملك: هو المالك لتدبير أمر الناس والحكم فيهم.

٢ ـ القدوس: مبالغة في القدس وهي النزاهة والطهارة.

٣ ـ السلام: الذي يلاقيك بالسلام والعافية من غير شَرٍّ وضرّ.

٤ ـ المؤمن: الذي يعطي الأمن.

٥ ـ المهيمن: المسيطر على كُلِّ الشّيء.

٦ ـ العزيز: الغالب الذي لا يغلبه شيء.

٧ ـ الجبار: مبالغة من جبر الكسر أو الذي تنفذ إرادته ويجبر على ما يشاء.

٨ ـ المتكبر: الذي تلبس بالكبرياء وظهر بها.

٩ ـ الخالق: الموجد للأشياء عن تقدير.

١٠ ـ البارئ: المنشئ للأشياء مميزاً بعضها عن بعض.

---

(١) المصدر السابق: ص٢٩٦.

١١ ـ المصور: المعطي لها صوراً يمتاز بعضها عن بعض[١].

(س) ما أهمية الآيات الأخيرة لسورة الحشر؟.

(ج) عن النبي الأكرم ﷺ: «من قرأ آخر الحشر فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٢].

وعنه أيضاً ﷺ: من قرأ «لو أنزلنا هذا القرآن... إلى آخر الآية، فمات من ليلته مات شهيداً»[٣]

وسُئل رسول الله ﷺ عن الاسم الأعظم لله، فقال ﷺ «عليك بآخر الحشر وأكثر من قراءتها»[٤]

وجاء في الحديث «أنها شفاء من كل داء إلا السام، والسام: الموت»[٥].

---

(١) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٢٢.

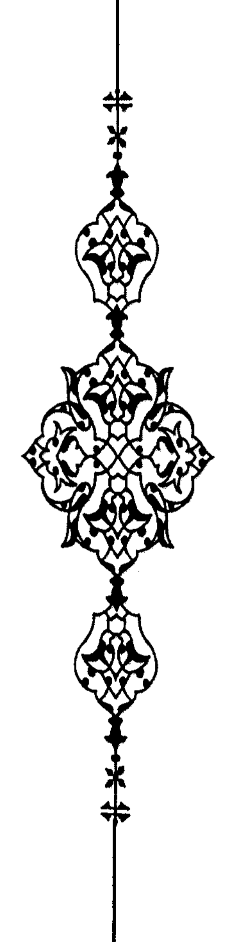
(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٢٩٣.

(٣) المصدر.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الدر المنثور: ج٦ ص٢٠١.





سورة الممتحنة

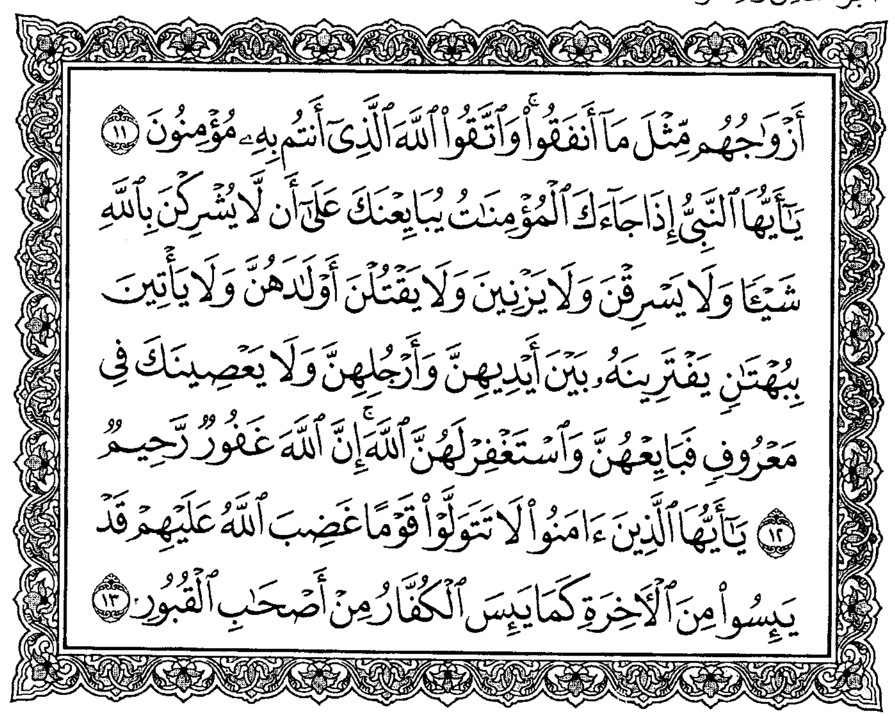
سُورَةُ المُمتَحنَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ
إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي
وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ
وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم
بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾ قَدۡ كَانَتۡ
لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا
بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا
وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ
إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ
رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا



فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ
فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ


أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

فضلها:

في كتاب ثواب العمال، بإسناده عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قال: «من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه للإيمان، ونوّر له بصره، ولا يصيبه فقر أبداً ولا جنون في بدنه ولا في ولده»(١).

مفردات السورة:

يثقفوكم: يدركوكم، مصدرها الثقافة، والثقف هو الحذق في إدراك الشيء وفعله والمثقف هو الحاذق في إدراك الأشياء.

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٢٩٩.

يبسطوا: بسط الأيدي بالسوء كنايةٌ عن القتل، وبسط الألسن بالسوء كناية عن السبِّ والشتم.

الرحم: رَحِمُ المرأة، ومنه استعير للأقرباء لكونهم خارجين من رحم واحدة[1].

البراءة: التقصي مما يكره مجاورته.

الإنابة: الرجوع.

المظاهرة: المعاونة والمعاضدة.

الجناح: هو الإثم المائل بالإنسان عن الحق.

عِصَمُ الكوافر: العصم جمع عصمة وهو النكاح الدائم الذي يعصم المرأة ويحصنها، والكوافر جمع كافر.

البيعة: بايع السلطان: إذا تضمن بذل الطاعة له بما رضخ له.

البهتان: الكذب الذي يبهت سامعه لفظاعته[2].

الافتراء: الإفساد واستعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم.

الفوت: بُعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه.

سبب النزول:

في تفسير القمي في قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ..﴾**

نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وكانت عياله بمكة، وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله ﷺ فصاروا إلى عيال

(١) مفردات الراغب ص٣٤٧.

(٢) المصدر

حاطب، وسألوه أن يكتبوا إلى حاطب ويسألوه عن خبر محمد هل يريد أن يغزو مكة؟

فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك، فكتب إليهم حاطب أن رسول الله صلى الله عليه وآله يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى صفية فوضعته في قرونها ومرَّت فنزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بذلك، فبعث النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام والزبير بن العوام في طلبها فلحقوها، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام أين الكتاب؟ فقالت ما معي شيء، ففتشاها فلم يجدا معها شيئاً، فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله ما كذبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وآله على جبرائيل، ولا كذب جبرائيل على الله جل ثناؤه، والله لتظهرن الكتاب أو لأردن رأسك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: تنحيا عني حتى أُخرجه، فأخرجت الكتاب من قرونها، فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا حاطب ما هذا؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله ما نافقت ولا غيرتُ ولا بدلت وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله حقاً ولكن أهلي وعيالي كتبوا إلي بحسن صنيع قريش إليهم فأحببت أن أجازي قريشاً بحسن معاشرتهم، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله : ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ❖ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ❖ لَنْ تَنْفَعَكُمْ**

أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

موضوع السورة:

١ ـ تذكر السورة موالاة المؤمنين لأعداء الله من الكفار، فتذكر بأن الكفار لا يوادّون المؤمنين أبداً بل يكنون لهم الحقد والعداء، وإذا تظاهروا بالمودة أحياناً فإن تظاهرهم بها يكون لأسباب وظروف ومصالح دنيوية.

٢ ـ لا يجد المؤمنون من موادتهم للكفار النفع، فليحذروا من ذلك.

٣ ـ أن مقاطعة الكفار ليس أمراً مستحيلاً، فها هو نبي الله إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه قاطعوا المشركين والكفار وساروا في الطريق الذي يرضي الله (تبارك وتعالى) وإنهم مثل وأسوة لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة[2].

٤ ـ تتحدث السورة أيضاً عن مسائل المرأة المهاجرة وبيعة المؤمنات.

الأسئلة والأجوبة:

❁ **قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ..﴾**

(س) كيف نفهم عداوة الكفار لله سبحانه وتعالى وللمؤمنين كما قالت الآية المباركة؟

(ج)١ـ إنهم أعداءُ الله من جهة اتخاذهم الشركاء يعبدونهم ولا يعبدون الله.

٢ـ الصد عن سبيله، ورد دعوته والإفساد في الأرض وهو القائل ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾.

---

(١) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٣٥.

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص٢٩٧.

٣ـ تكذيب الرسول ﷺ[١].

٤ـ رفض الآيات التي تدعو إلى الله (عز وجل)، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[٢].

٥ـ وكونهم أعداء للمؤمنين وذلك لإيمانهم بالله، وبذلهم لأموالهم وأنفسهم في سبيله تعالى.

(س) لماذا قال تعالى بأن الكفار أعداء للمؤمنين وأعداء لله تعالى في حين أن عدو الله هو عدو للمؤمنين بلا شك؟

(ج) ١ـ ذكر عداوتهم للمؤمنين مع كفاية ذكر عداوتهم لله في سوق النهي لتأكيد التحذير والمنع[٣].

٢ـ لتأكيد عداوة الكفار العملية والمباشرة للمؤمنين، والتي تظهر في مواقفهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية من المؤمنين، كإخراج الرسول ﷺ والمؤمنين من بلادهم، كما أشار تعالى في الآيات اللاحقة[٤]. وأنهم إذا أخفوها في وقت من الأوقات، فإنما لمصلحة ما ولتخطيط مستقبلي خطير وكبير قال تعالى ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.

(س) كيف يمكن للمؤمن أن يتخذ عدوه محباً له، بينما العداوة منافية للمحبة والمودة؟

(ج) لا يبعد أن تكون العداوة بالنسبة إلى أمر، والمحبة والمودة إلى أمرٍ آخرٍ،

---

(١) الميزان: ج١٩ ص٢٢٧.

(٢) سورة يوسف: ١٠٥.

(٣) الميزان: ج١٩ ص٢٢٧.

(٤) من هدي القرآن: ص٢٩٩.

ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾، وقال النبي ﷺ: «أولادنا أكبادنا»[(١)].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿...لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ..﴾ ولم يقل العكس؟

(ج) العداوة بين المؤمن والكافر إنما جاءت بسبب محبة الله تعالى ومحبة رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام فتكون محبة المؤمن لحضرة الله تعالى لعلة، بينما محبة الله تعالى للعبد لا لعلة لكونه غني على الإطلاق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ ولهذا تقدم الذي لا لعلة على الذي لعلة، ولأن الشيء إذا كان له نسبة إلى الطرفين، فالطرف الأعلى مقدم على الطرف الأدنى[(٢)].

(س) لماذا أمر الله تعالى المؤمنين بعدم محبة الكفار وهل يمكن للمؤمن أن يحب الكافر؟

(ج) بما أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾، وأنه ﴿أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيَّاهُ﴾[(٣)]، فبما أنَّ القلب لا يتحمل حُبَّ شيئين متضادين وهما الحق والباطل وليس في جوف الإنسان أكثر من قلب واحد ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾، فلهذا يجب أن لا يكون في القلب سوى الله تعالى الذي يستحق الود والولاء وغيره لا يستحق ذلك، لهذا أمر تعالى عباده بأن لا يجعلوا في قلوبهم غيره، قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٩٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة يوسف: ٤٠.

يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[١]، وقد يلقي المؤمن بالمودة للأعداء نتيجة العواطف أو الانهزام النفسي تجاههم أو غير ذلك، فإنه نوع من الضعف النفسي والإيماني الذي ينبغي التعالي عنه، قال الإمام الصادق عليه السلام: «كل من لم يحب على الدين، ولم يبغض على الدين فلا دين له»[٢].

❁ قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي..﴾

(س) ما هي الأمور التي تدعو المؤمنين إلى اتخاذ موقف صارم من الكفار؟

(ج)١ ـ عدم اعتراف الكفار بمبادئ الإسلام وقيمه، قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾.

٢ ـ محاربتهم للقيادات الرسالية وللمؤمنين وهي عداوة لله وترجمة عملية لصراعهم مع الحق، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ..﴾.

٣ ـ أن موادتهم تتناقض مع مبادئ وأهداف المؤمنين ومنها الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي..﴾[٣]

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٠١.

(٣) المصدر.

۞ **قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ...﴾.**

(س) كيف أخرج الكفارُ النبيَّ ﷺ والمؤمنين؟

(ج) يمتلك الكفار مختلف الصور والأساليب الخبيثة في الضغط على المؤمنين أينما كانوا في سبيل زعزعة مواقفهم وسلب الأمن من حياتهم لكي يلجئوهم في النهاية إلى الخروج من بلادهم، كما فعلت قريش بالنبي محمد ﷺ وبالمؤمنين، حيث إنهم أحرجوهم بمختلف الأساليب حتى أخرجوهم، وهذا ما يصنعه الظلمة اليوم في كل مكان، فبعد هذا لا ينبغي للمؤمن أن يمد يد المودة والمحبة إليهم وهم له أعداء.

(س) لماذا يسعى الظالمون دائماً إلى تهجير المؤمنين المجاهدين من مواطن سكنهم؟

(ج) ١ ـ لإيمانهم بالله تعالى، قال تعالى: **﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ﴾**، بينما لا يمتلك الكفار والظالمون شيئاً من الإيمان إلا الاسم والرسم، قال عز وجل **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ...﴾**[1].

٢ ـ إنهم يخشون انتشار نور الإيمان والهداية بين الناس و استجابة المجتمع لمبادئهم الحقة مما يؤدي إلى انزياح وتبدد ظلامهم وظلمهم.

٣ ـ إنه تعذيب آخر يوجهونه للمؤمنين، لعله يغير موقفهم منهم، بينما يذكر التاريخ بأن هناك الكثير من المؤمنين اتخذوا المهجر محطة وقاعدة لانطلاقهم وجهادهم في سبيل الله (عزوجل)، كما رأينا إمامنا الحسين عليه السلام حيث ترك الأهل والوطن لأجل الإصلاح في دين جده رسول الله ﷺ. قال عليه السلام: «..ألا وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرجت لطلب الإصلاح

---

(١) سورة الزمر: ٣٨.

في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب...».

(س) لماذا وصفت الآية المباركة الله تعالى بـ (ربكم) بينما يمكن عدم ذكر هذا الوصف؟

(ج) إن توصيف الله سبحانه وتعالى بـ(ربكم) للإشارة إلى أن المؤمنين لم يؤمنوا بشيء غريب عنهم، بل آمنوا بالله الذي رباهم وأنعم عليهم وأعطاهم كل ما يحتاجونه وإن لم يسألوا ذلك بلسانهم قال تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾.

(س) ما وجه اتصال هذا المقطع بما سبق؟

(ج) انه متعلق بقوله: ﴿لاَ تَتَّخِذُوا﴾ وجزاء الشرط محذوف يدل عليه المتعلق، والمعنى: لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إن كنتم هاجرتم للمجاهدة في سبيلي ولطلب رضاي، وانه كقول الوالد لولده: إن كنت ولدي فلا تفعل كذا[2].

❁ قال تعالى: «تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاءت الآية لبيان نتيجة النهي السابق، كأنه قيل بعد سماع النهي ماذا

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٢) سورة الميزان: ج١٩ ص٢٢٧.

فعلنا؟ فأجيب: تطلعونهم سراً على مودتكم لهم وأنا أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم أي أنا أعلم بقولكم وفعلكم علماً يستوي بالنسبة إليه إخفاءكم وإظهاركم[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ..﴾ ولم يقل بما أسررتم وما أعلنتم؟

(ج) ١ ـ إنّهُ أليق مع ما سبق وهو تسرون.

٢ ـ فيه من المبالغة ما ليس في أسررتم، فإن الإخفاء أبلغ من الإسرار، دل عليه قوله: «يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي أخفى من السر[2].

(س) لماذا تَقَدّمَ علمُه بالإخفاء على علمِهِ بالإعلان، بينما تَقدُم علمِهِ بالإعلان هو الأفضل؟

(ج) ١ ـ هذا بالنسبة إلى علمنا، لا بالنسبة إلى علمه إذ هما سيان عنده.

٢ ـ لأن المقصود هو بيان ما هو الأخفى وهو الكفر، فلذا يكون مقدماً على الإعلان وهو الإيمان عادة[3]

(س) لماذا يحرم الله (سبحانه وتعالى) المودة السرية مع الكفار؟

(ج)١ـ إن ما يحرمه الله (سبحانه وتعالى) علناً لا يمكن أن يحلله سراً وإن كان جُرمُه أخف من الأول، لأنه يحصل في كلامه تناقض، وحاشا لله منه.

٢ـ لأن الهدف من كل هذه الأوامر والنواهي هو استخلاص قلوب المؤمنين له، وجعلها مملوءة بالحب والمودة له وحده لا شريك له، فكيف يمكن أن

---

(١) المصدر ص ٢٢٨.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٢٩.

(٣) المصدر.

يأمرهم بشيء فيه حالة التناقض والتضاد[1].

❁ **قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾**

(س) كيف قال تعالى بأن من يتوادد ويتعاضد مع الكفار لا يهتدي إلى السبيل المستقيم ولا يصل إلى أهدافه، بينما نرى الذين تعاضدوا مع الكفار وصلوا إلى مراحل حياتيه متطورة في شتى المجالات؟

(ج) ١ ـ إذا نظرنا إلى حياة الذين ارتبطوا مع الكفار لأجل الوصول إلى ما وصلوا إليه، نرى إن الذي أخذوه منهم أقل بكثير مما أعطوا لهم، فمن الجانب الاقتصادي مثلاً نرى الكفار قد أخذوا مصادر ثرواتهم المهمة بأسعار زهيدة وأعطوهم مقابل ذلك منتوجاتهم الصناعية بأسعار مرتفعة، وقس على ذلك الأمور الأخرى.

٢ ـ إنهم يبسطون وجوههم إلينا ما دامت الخيرات موجودة في أراضينا فإذا ما نفذت فسوف تنعكس الموازين وتتغير الأحوال بل سُرعان ما يبسطون إلينا أيديهم ليفتكوا بنا؛ وهذا ما صرح به القرآن الكريم بشكل كامل، فأين الذين تعاضدوا مع اليهود وأعوانهم من آيات الذكر الحكيم؟! قال تعالى: **﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾**.

❁ **قال تعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً...﴾**.

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) الآية مسوقة لبيان أنه لا ينفع الإسرار بالمودة للمشركين في جلب

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٠١.

محبتهم ورفع عداوتهم شيئاً وأن المشركين بالرغم من إلقاء المودة إليهم، إن يدركوا المسلمين ويظفروا بهم يكونوا أعداء لهم دون أن يتغير ما في قلوبهم من العداوة.

(س) متى يَثْقَفُ الكفارُ المؤمنين ويظهروا عدواتهم المخفية لهم؟

(ج) عندما يكون المؤمنون في حالة الضعف، والكفار أقوياء من الناحية المادية، عندها تظهر عدواتهم وحقدهم ويبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولكنهم يتظاهرون بالود والمحبة للمسلمين عندما يكونون أقوياء مثلهم.

(س) كيف جاء جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ بصيغة المضارع، ثم قال تعالى: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ بصيغة الماضي؟

(ج) الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب، ولكن في الآية نكتة، كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ولم يقل: خبير مع أنه أبلغ في العلم بالشيء؟

(ج) إن الخبير أبلغ في العلم والبصير أظهر منه فيه، لما أنه يجعل عملهم كالمحسوس بحس البصر والله أعلم[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

(س) كيف يمكن للكفار أن يؤذوا المؤمنين بالأيدي والألسن، وهو القائل ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٢٩٩.

(٢) المصدر: ص٣٠٠.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]؟

(ج) ١ ـ إن نصرة الله سبحانه وتعالى مرتبطة بنصرة المؤمنين له، قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، فإذا انحرف المؤمنون عن الطريق المؤدي إلى الله تعالى وأعرضوا عن أوامره ونواهيه فكيف ينصرهم اللهُ ويعزهم وقد قال في محكم كتابه: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٢ ـ في الآية تحذيرٌ للمؤمنين من مغبة الميل إلى الكفار، وتبيين لما في صدروهم، بأنهم لو قويت شوكتهم فإنهم سيميلون على المؤمنين ميلةً واحدة، وفيه تأكيد لقوله (عز وجل) أنهم أخرجوا الرسول ﷺ والمؤمنين من مكة عندما كانوا أقوياء، ولكن عندما تقوى شوكة المسلمين يمدون إليهم يد الصلح والتعاون والتبادل الثقافي والاقتصادي والعلمي، وهذا ما نراه اليوم واضحاً بين المسلمين والكفار.

۞ قال تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾

(س) ما فائدة مجيء الآية المباركة؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتُبين للمؤمنين بأن أمامهم يوماً عظيماً يُجازى كل فرد بصورة منفصلة عن الآخرين في جميع أعماله، فإذا توادَدَ مع الكفار لأجل صيانة أرحامه، وقد دخل في معصية الله تعالى، فإن أرحامه سوف لا ينفعونه يوم القيامة، لذا فالآية تحذر المؤمنين من مغبة ترك طاعة الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة غافر: ٥١.

(٢) سورة محمد: ٧.

والدخول في معصيته، وإن كان لأجل نفع الأرحام.

(س) كيف قال تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ والنبي الأكرم محمد ﷺ يقول: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»؟

(ج) إن العلاقات المبنية على أساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى واليوم الآخر بين أفراد المجتمع سواء أكانوا أرحاماً أم غير أرحام، تبقى قائمة ولا تزول أبداً أينما حل الإنسان وارتحل، بينما العلاقات المبنية على أساس المادة والعاطفة فإنها محدودة بالدنيا، تزول مع خروج الإنسان منها، فلذا ينتفع الميتُ من ولده المؤمن الحي وكذلك ينتفع به في الآخرة، حيث وردت أحاديث كثيرة عن نبي الإسلام محمد ﷺ في باب الشفاعة، حيث قال ﷺ: «الشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة...»[1]

وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «إنّ أدنى المؤمنين شفاعةً ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النّار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم»[2].

وقال ﷺ: «لأشفعَنّ يوم القيامة لمن كان في قلبه جناح بعوضة إيمان»[3].

اللهم لا تحرمنا من شفاعة محمد وآل محمد بجاه محمد وآل محمد (عليهم السلام أجمعين).

۞ قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾

(س) كيف يفصل الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بين الناس؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٨ ص٥٨.

(٢) المصدر: ص٥٧.

(٣) كنز العمال: خ٣٩٠٤٣.

(ج) ١ - يبعثهم فرادى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ...﴾[1].

٢ - يُنهي الحياة الاجتماعيةمن خلال قيام ساعة الجزاء للناس بما عملوا في الحياة الدنيا ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

٣ - يهرب الناس بعضهم من بعض رجاء النجاة، فيفر المرء من أحب الناس إليه مخافة تشديد الحساب وتنقيص الحسنات، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[2].

۞ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

(س) لماذا ضرب الله تعالى لنا مثلاً بنبيه إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه؟

(ج) ١ - إنه تعالى ضرب بهم مثلاً في مقاطعة الكفار لجميع المؤمنين على مختلف درجاتهم وأمرهم بأن يقتدوا بهم، ولا يقول أحدٌ بأني خارجٌ من هذه الدائرة أو لا يمكن لي تحقيق ذلك، فإبراهيم عليه السلام والذين معه كانوا قليلين مستضعفين محتاجين إلى الحماية الاجتماعية والاقتصادية، ولكنهم مع ذلك واجهوا الكفر قلباً وقالباً ليقطعوا العذر والاعتذار من المؤمنين الآخرين، وليكونوا أسوة وقدوة إلى قيام يوم الدين.

٢ - إن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، وكان يحظى باحترام جميع الأقوام وخصوصاً العرب منهم، فلذا فهو قدوةٌ لهم نحو الإيمان واتخاذ الموقف السليم والمطلوب من أعداء الدين والعقيدة الإلهية.

---

(١) سورة الأنعام: ٩٤.

(٢) سورة عبس: ٣٧.

(س) ما أهمية القدوة في حياة الإنسان؟

(ج) يبحث الإنسان أياً كان عن القدوة الصالحة في نظره لكي يقتدي بها، ويصل إلى ما وصل إليه، ولهذا نرى اليوم الكثيرين لا سيما الشريحة الشابة في المجتمع تبحث عن القدوة لها، فالبعض يقتدي برجال صالحين، وآخرون يقتدون برجال طالحين أو بأشخاص يمتلكون شيئاً من الكمالات الدنيوية والمادية. وبما أن الله سبحانه وتعالى يعلم بهذه الحاجة الضرورية للإنسان لهذا وضع بين يديه قدوة صالحة ثم دعاه إلى الاقتداء بها.

(س) من هم الذين كانوا مع إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾؟

(ج) في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إشارة إلى أن هناك مَن آمن به وسار على نهجه، غير زوجته ولوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ..﴾

(س) هل يمكن للناس العاديين الاقتداءُ بالأنبياء الطاهرين المعصومين و قد أمرنا تعالى بالاقتداء بسيد الكائنات نبي الرحمة صلى الله عليه وآله أيضاً بقوله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[2]؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ألا وإنَّ لكل مأمُومٍ إماماً يقتدي بِهِ ويستضِيءُ بنورِ علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه

(١) سورة العنكبوت: ٢٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

بطِمرَيهِ ومن طعمه بقرصيه ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»[١].

وعنه عليه السلام: «من طلب شيئاً ناله أو بعضه»[٢].

وقال عليه السلام: «من لج ولج».

وهناك الكثير من الأحاديث التي تدعو الإنسان إلى العمل والسعي في الحياة وتبشره بأنه سوف يصل إلى هدفه ومقصده فقد قيل: من مشى على الدرب وصل ومسيرة ألف كيلو متر تبدأ بخطوةٍ، وإنه تعالى قال في محكم كتابه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، إذاً فإن مسألة الاقتداء بالمعصومين والصالحين عليهم السلام أمرٌ يدعو إليه العقل ويَقِرُّ به، ثم إنَّ هناك أمراً مشتركاً بين القدوة وهو الإمام والنبي عليهما السلام وبين المأموم، وهي الحالة البشرية ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ..﴾ إذاً فليس من المستحيل أن يتصف الإنسان العادي ببعض صفات المعصومين عليهم السلام، أو ليس الإمام الصادق عليه السلام يقول لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام «..السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله. بأبي أنتم وأمي. طِبتُم وطابت الأرضُ التي فيها دُفنتُم وفزتُم فوزاً عظيماً. فياليتني كنتُ معكم فأفوز معكم»[٣]

۞ **قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾**

(س) كيف استطاع نبي الله إبراهيم عليه السلام والذين معه مواجهة مجتمع بشري كاملٍ؟

---

(١) نهج البلاغة: ص٤١٧ تحقيق صبحي الصالح.

(٢) نهج البلاغة: ص٥٤٤ ح٣٨٦.

(٣) زيارة الإمام الحسين عليه السلام المطلقة مفاتيح الجنان المعرب: ٤٣٠.

(ج) إن نبي الله إبراهيم عليه السلام والذين معه تبرّؤوا من قومهم، بكل أشكال البراءة والمقاطعة حيث قاطعوهم قولاً وعملاً، ورأوا من هذه المقاطعة الصادقة ألوان الشدة والأذى، ولكنهم صبروا وتحملوا ولم يستوحشوا من طريق الحق لقلة أهله، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تستوحشوا من طريق الحق لقلة سالكيه» إذ إن العزلة عن الآخرين صعبة حتى لو كانت من الأكثرية للأقلية، فكيف إذا كانت من الأقلية للأكثرية، ولكن مع هذا فإن الحق هو المقياس والميزان الذي يجب أن تدار عليه أمور المؤمنين، قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

(س) هل يمكن القول بأن براءة نبي الله إبراهيم والذين معه كانت كلامية فقط كما يُستفاد من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ...﴾؟

(ج) لا يمكن أن تكون براءتهم الكلامية خالية من العمل واتخاذ الموقف الفعلي اللازم لأنهم بهذه الحالة سوف يصطدمون مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[2].

ويمكن أن نلمس براءتهم العملية من قولهم: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾، قال العلامة الطباطبائي قدس سره: والمراد من الكفر بشركهم مخالفتهم فيه عملاً كما أن العداوة بينونةٌ ومخالفة قلباً[3].

---

(١) ٢ : ٢٤٩.

(٢) سورة الصف: ٢، ٣.

(٣) الميزان: ج٢٨ ص٢٣٠.

(س) كيف قالت الآية المباركة ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ بينما الإيمان بغير الله من الأمور الضرورية المكملة للإيمان به تعالى، كالإيمان بالملائكة والرسل والكتب النازلة قبلاً، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾؟

(ج) لا شك أن الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر من لوازم الإيمان بالله وحده، ولكن المراد من (وحده) في قوله عز وجل هو الوحدةُ في الألوهية، أي لا نؤمن بألوهية غيره تعالى[١].

❁ قال تعالى: ﴿إِلاّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

(س) من هو أبو إبراهيم عليه السلام الذي تذكرهُ الآية المباركة، وهل استغفر له، وإن استغفر كيف يصح منه ذلك وهو مشرك؟

(ج) ١ ـ إن أبا إبراهيم المشار إليه هو عَمُّهُ آزر ولا يمكن أن يكون أباه الذي جاء من صلبه، إذ لا يجوز حسب اعتقادنا الحق أن يكون أبو النبي أو الإمام مشركاً، إذ إن الطاهر لابد أن يخرج من وعاء طاهر أيضاً ولو أقل درجة، والقرآن الكريم أشار إلى أن آزر ليس أبا إبراهيم الحقيقي، حيث ذكر بأن إبراهيم عليه السلام طلب في أيام حياته الأخيرة المغفرة لوالديه يوم القيامة وذلك بعد أن أصبح إماماً وبعد أن بنى الكعبة المشرفة، قال تعالى عن لسانه: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ... رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٢]، بينما بالنسبة إلى عمه

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٣٠١.

(٢) سورة إبراهيم: ٤١.

آزر قال تعالى: «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[1].

٢ ـ إن إبراهيم عليه السلام وَعدَ عمه آزر بطلب المغفرة له، لعله يكون عاملاً نحو هدايته حيث قال ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ولم يكن يعرف بأنه سوف يصر على الشرك والكفر ويموت عليه، فلما تبين له ذلك تبرأ منه إذ (إن المؤمن إذا وعد وفى) فلذا فمن هذا الباب أدى إبراهيم عليه السلام الذي في رقبته.

٣ ـ أما السبب الذي دعا إبراهيم عليه السلام بأن يوعد أباه بطلب المغفرة له، لعله لِسبب لا يعلمه إلا الله، وأنه تعالى لم يخص نبياً غيرهُ بهذا الأمر كما أجاز لنبيه محمد صلى الله عليه وآله الزواج بأكثر من أربع[2].

(س) لماذا تعرض القرآن الكريم إلى ذكر هذه المسألة؟

(ج) ١ ـ قال البعض: إن القرآن الكريم أشار إلى تراجعات بعض الأنبياء في حياتهم الاجتماعية والعملية وذلك لكي لا يتحوّلوا إلى آلهة في نظر المؤمنين بهم وبأبنائهم، كما ألّه البعضُ الإمام علياً عليه السلام عندما رأى شيئاً من علومه ومعاجزه، ولهذا قال الإمام عليه السلام: «هلك فيَّ اثنان محبٌّ غالٍ ومبغض قالٍ»[3].

٢ ـ للفت الأنظار إلى هذه المسألة المهمة ومن ثم علاجها، إذ قد ينجر الكثير من المؤمنين إلى سلوكيات خاطئةٍ مع أعداء الله تعالى، وقد يكون المبرر من موادتهم لأنهم أرحام.

---

(١) سورة التوبة: ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٠٧.

(٣) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

٣ ـ يظهر من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ..﴾[١]، أن الاستغفار جائز للطرف المقابل ما لم يتبين الموقف النهائي منه، ويُتأوّل إلى طلب هدايته، كما كان النبي محمد ﷺ يطلبها لقومه بقوله ﷺ: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون» ولكن عندما يتبين موقف المشرك بصورة واضحة وكاملة فهنا يجب التبرُّؤ منه بشكل كامل وقاطع.

۞ قال تعالى: ﴿..وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ..﴾

(س) ما مناسبة مجيء قوله عز وجل؟

(ج) الآية من تتمة قول نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو بيان لحقيقة الأمر، من أن سؤاله للمغفرة وطلبها من الله تعالى ليس من النوع الذي يملك فيه الطالب ما يريده، ويمكن له الوصول إليه، بل الأمر كله بيد الله تعالى، فله أن يستجيب وله أن يُعرض، فقوله ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ...﴾ نوع من الاعتراف بالعجز استدراكاً لما يستشعر من قوله: ﴿لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ من شائبة إثبات القدرة لنفسه، نظير قول شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٢] [٣].

۞ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

(س) لماذا هذا الدعاء؟

(ج) إنه من تمام القول المنقول عن إبراهيم والذين معه المندوب إلى التأسي بهم فيه، وجاء هذا الدعاء بعد أن تبرَّؤوا من قومهم ذلك التبري العظيم الذي

---

(١) سورة التوبة: ١١٤.

(٢) سورة هود: ٨٨.

(٣) الميزان: ج٢٨ ص٢٣٢.

يظهر فيه ثباتهم وتمسكهم بالحق ورفض الباطل، فالدعاء لأجل أن يحفظهم الله سبحانه وتعالى من تبعات تبريهم من الكفار، وأن يغفر لهم ولا يخيبهم في إيمانهم.

❁ **قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**

(س) ما هو المراد من قوله تعالى؟

(ج) أي لا تجعلنا موضع ابتلائك لهم وذلك بتسليط الكفار علينا، فيؤذوننا بسبب موقفنا السليم الرافض للكُفرِ والفساد[١].

قال ابن عباس: لا تسلط علينا أعداءنا فيظنوا أنهم على الحق، وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك[٢].

(س) لماذا يطلب المؤمن المغفرة في كثير من الأحيان؟

(ج) ١ ـ إن طلب التوبة والمغفرة منطلق من الشعور بالتقصير في العبادة لله عز وجل من خلال عدم الوصول إلى الأمر المطلوب منهم، ثم إن المؤمن معرَّضٌ للوقوع في الخطأ والمعصية بين الحين والآخر وذلك لعدم عصمته، فلذا يجعل التوبة وسيلة لتصحيح ما فات[٣].

٢ ـ إنَّ البراءة من الفتنةِ لا يمكن وجودها بدون المغفرة، إذ العاصي لو لم يكن مغفوراً كان مقهوراً بقهر العذاب. وهي فتنة، لذا يطلب المؤمن المغفرة على

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) من هدي القرآن: الآية.

ذنوبه لكي لا يواجه الابتلاء والفتنة التي تُرديه.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الحُكِيمُ﴾

(س) لماذا ختموا دُعاءهم بهذا القول؟

(ج) إنه نوع من الأدب العالي في الدُعاء حيث إنهم لم يحتموا عليه (تعالى) الاستجابة لطلبهم بل تركوا ذلك لمشيئته، فإن شاء استجاب لهم بعزته، وإن شاء لم يستجب لهم بحكمته[١].

❁ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمِنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الحُمِيدُ﴾

(س) ما هي الصفة التي كانوا يمتلكونها حتى دعانا الله (تعالى) إلى التأسي بهم؟

(ج) قال ابن عباس: كانوا يبغضون من خالف الله ويحبون من أحب الله[٢].

قال رسول الله ﷺ في حق ابنته الزهراء عليها السلام: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني»[٣].

(س) لماذا تكرر حديث التأسي في إبراهيم والذين معه؟

(ج) ١ ـ وذلك للإشارة إلى أن هذه الأسوة تكون لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

٢ ـ إنهم كانوا أسوةً في موقفهم ضد منهج الكفر وعبدة الأوثان، وأسوةً لنا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) نقلاً من كتاب (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) عن صحيح البخاري ومسلم.

أيضاً في الدُعاء بين يدي الله عز وجل وقدوةً في طلب المغفرة منه كما ذكرت الآية ذلك[١].

❁ قال تعالى: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(س) ما سبب مجيء الآية المباركة؟

(ج) قال مقاتل: لما أمر الله تعالى المؤمنين بعداوة الكفار شددوا في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقاربهم والبراءة منهم فأنزل الله تعالى قوله تعالى ﴿عَسَى اللهُ...﴾ وذلك بميلهم إلى الإسلام ومخالطتهم مع أهل الإسلام[٢].

(س) كيف يمكن أن يتحول الموقف المعادي والساخن إلى حالة الوئام والمودة؟

(ج) ١ ـ يحدث ذلك إذا حدث انقلاب في الفكر والعقيدة، فإذا ترك الكافِر كفرَهُ ودخل في الإسلام فسوف يكون أخاً لجميع المؤمنين.

٢ ـ إذا تحول الكافر من حالة المحارب إلى المسالم، فسوف تتغير نظرته إلى المؤمنين، فالإسلام لا يحارب الكفار إلاَّ إذا وقفوا موقفاً سلبياً من الحق وأهله[٣].

(س) ما فائدة مجيء ﴿عَسَى﴾ في بداية الآية المباركة؟

(ج) ١ ـ لم يقطع القرآن الكريم في كثير من الأمور مع العلم أنها واقعة في علم الله تعالى وذلك للإشارة إلى أن هذه الأمور هي أمورٌ مَرِنة قابلة للأخذ والعطاء، وخاضعة لأمرين مهمين: المشيئة الإلهية، وإرادة الإنسان، فمثلاً لم

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

(٣) من هدي القرآن: الآية.

يحتم ربنا سبحانه وتعالى نصر المؤمنين في بعض الأوقات وذلك لكي لا تظهر فيهم حالة الاتكالية والقعود وانتظار نزول النصر الإلهي لتغيير الأمور.

٢ ـ إن ﴿عَسَى﴾ تبعث روح الأمل بالله في النفوس المؤمنة وتدعوها إلى الحركة وأداء الدور المطلوب لأجل نزول النصر الإلهي[١].

۞قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) الآيات السابقة أمرت المسلمين بأن لا يتخذوا الكفار أولياء لهم وأن لا يرتبطوا معهم بعلاقات وثيقة، كما في قوله عز وجل: **﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾**، ثم جاءت الآية المباركة لترسمَ خطوط الممانعة هذه بشكل واضح، فقالت بأن الله سبحانه وتعالى لا يمانع الإحسان والعدل إلى الذين لم يُقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم حيث إن هذا التعامل معهم نوع من القسط والله يحب المقسطين[٢].

(س) من هم الكفار المسالمون؟

(ج) قيل إنهم أهل العهد الذين عاهدوا رسول الله ﷺ على ترك القتال والمظاهرة في العداوة[٣].

وقيل إنَّهم القسم الآخر من المشركين والكفار الذين لا يضمرون العداء

(١) المصدر السابق (مع تصرف).

(٢) تفسير الميزان: الآية (مع تصرف).

(٣) التفسير الكبير: الآية.

للمسلمين بالرغم من شركهم وكفرهم بالحق، فهؤلاء لا يؤذون المسلمين ولا يحاربونهم ولا يشاركو في إخراجهم من ديارهم وأوطانهم، لذا فإنَّ الإحسان لهذه الشريحة المسالمة وإظهار الحب لها لا مانع منه، ويجب إيفاء العهد معها عند عقد المعاهدات معها، والكفار المسالمون موجودون في كل زمان ومكان فلابد من التعامل معهم على أساس البر والإحسان والإنسانية[1]، قال الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر: «..ولا تكن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان: إما أخٌ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[2]

(س) لماذا قال تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللهُ... أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ ولم يقل: أن تولوهم وتقسطوا إليهم؟

(ج) لا شك لا يمكن اتخاذ الكفار أولياء ما داموا باقين على كفرهم ولو كانوا مسالمين لا يريدون السوء بالمسلمين، حيث إنَّ المحور الأساسي في صلاح وكمال العلاقات البشرية هو ما كان مرتبطاً ومتوجهاً إلى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، فإذا كانت خالية من الصبغة الإيمانية فلا قيمة لها. قال تبارك وتعالى: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ...**﴾

❁ **قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**

(س) لماذا جاء التأكيد في الآية على عدم اتخاذ الكفار المحاربين أولياء، دون

---

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٣٦.

(٢) نهج البلاغة.

أن تشير إلى مسألة البِرّ والإحسان معهم؟

(ج) إن الأصل في التعامل مع الكفار المحاربين هو عدم اتخاذهم أولياء، ثم إن البر والإقساط إليهم أيضاً لا يجوز، لكن الآية لم تتطرق إلى ذلك لعلها تريد أن تشير بالسماح للمسلمين بأن يحسنوا إلى أعدائهم في حالة الضرورة والشدة، كما رأينا ذلك في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام فنرى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يمنع الماء عن جيش معاوية الذين خرجوا لقتاله وهم قد منعوه منه عند استيلائهم على مصادر الماء، وكذلك سقى الإمام الحسين عليه السلام أعداءه الماء وكانوا في أشد الحاجة إليه.

(س) قال الفخر الرازي في تفسيره: إن قوله تعالى: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً...﴾ يريد بها نفراً من قريش آمنوا بعد فتح مكة منهم أبو سفيان بن حرب وغيره والله قادرٌ على تقليب القلوب وتغيير الأحوال، فهل يمكن أن يكون أبو سفيان مصداقاً للآية المباركة؟

(ج) ١ ـ ذكر الكثير من المفسرين أن الآية المباركة نزلت قبل فتح مكة أي قبل أن ينطق أبو سفيان بالشهادتين.

٢ ـ روى ابن أبي الحديد والبيهقي والزمخشري، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله رأى يوماً أبا سفيان راكباً على حمار يقوده معاوية، ويسوقه يزيد، فقال صلى الله عليه وآله: «لعن الله الراكب والقائد والسائق»، وأنه صلى الله عليه وآله لعنه في ستة مواطن أخرى.

وهو الذي قال لأصحابه من بني أمية لما استقر أمر خلافة عثمان: (يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة) فكيف يمكن بعد هذا أن يكون مصداقاً للآية الكريمة[1]!!.

---

(١) راجع شرح زيارة عاشوراء للعلامة أبي الفضل الكلانتري.

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) استعرضت الآيات السابقة موضوع البغض في الله عز وجل وقطع الارتباط مع أعداء الله، أما موضوع هذه الآيات فهو عن الحب في الله وعن طبيعة العلاقة التي تكون مع الذين انفصلوا عن الكفر وارتبطوا بالإيمان، وتُبين أن الولاء الإيماني هو الأصل في جميع العلاقات الاجتماعية حتى بين الزوج وزوجَتِهِ، فالزوجة المؤمنة تُفصَل عن زوجها الكافر وهكذا بالعكس وإن الزوجة ليست تابعة لزوجها في دينها وولائها[١].

(س) ما سبب نزول الآية؟

(ج) سياق الآية يشير إلى أنها نزلت بعد صلح الحديبية، وكان في العهد المكتوب بين النبي ﷺ وبين أهل مكة، أنه إن لحق من أهل مكة رجل بالمسلمين ردُّوه إليهم، وإن لحق من المسلمين رجل بأهل مكة لم يردُّوه إليهم، ثم إن بعض نساء المشركين أسلمت وهاجرت إلى المدينة، فجاء زوجها يستردها فسأل النبي ﷺ أن يردّها إليه فأجابه النبي ﷺ إن الذي شرطوه في العهد ردُّ الرجال دون النساء ولم يردّها إليهم وأعطاه ما أنفق عليها من المهر وهو الذي تدل عليه الآية مع ما يناسب ذلك من أحكامهن[٢].

(س) كيف سَمَّاهُنَّ الله سبحانه وتعالى بالمؤمنات قبل أن يجري لهن الامتحان؟

(١) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(٢) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٤٠.

(ج) ١ـ سماهُنَّ الله سبحانه وتعالى بالمؤمنات قبل امتحانهن من قِبَلِ المؤمنين وذلك لتظاهرهن بالإيمان من خلال إعلان الشهادتين[١].

٢ـ ذكرهم بوصف الإيمان للإشارة إلى أنه السبب للحكم وانقطاع علاقة الزوجية بين المؤمنة والكافر.

(س) لماذا الامتحان بعد إعلان الشهادتين والإيمان؟

(ج) إن إعلان الشهادتين أمرٌ ظاهريٌّ، قد لا يُوافقه الباطن، فلأجل حصول حالة الاطمئنان على انسجام الظاهر مع الباطن فلابُدَّ أن يتعرض الذي يدعي الإيمان إلى الامتحان ليتأكد من وحدة الظاهر والباطن واتفاقهما في العمل.

(س) كيف يكون الامتحان؟

(ج) قال ابن عباس: امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا إنما خرجتُ حباً لله ولرسوله...[٢]. وكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحنهن ويعطي أزواجهن مهورهن[٣].

(س) هل الحلف دليل قاطع على حقيقة الإيمان؟

(ج) يمكن أن يحلف البعض كذباً، فيقول خلافاً لما يعتقد به، إلاَّ أن أكثر الناس يلتزمون بالحلف بالله عز وجل حتى المشرك وذلك مخافة سوء العاقبة، ولهذا فإن الحلف كان ولا يزال سبباً في تقليص دائرة الكاذبين، بالرغم من أنه لم يكن دليلاً قطعياً على حقيقة الإيمان ولكنه في الغالب يكشف الحقيقة في كثيرٍ

---

(١) المصدر: الآية.

(٢) مجمع البيان: الآية.

(٣) الميزان: الآية.

من الموارد[١].

❁ قال تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾

(س) ما فائدة مجيء قوله عز وجل؟

(ج) ١ - في قوله تعالى إشارةٌ إلى أنه يكفي في الامتحان حصول العلم الظاهري، دون اليقين بحقيقة الإيمان الذي هو تعالى أعلم به علماً لا يتخلف عن معلومه.

٢ - في الآية إشارة إلى أن الله يأمر بالظواهر، وهو الذي يتولى السرائر فلذا فعلى المؤمنين أن لا يسعوا في كشف بواطن الآخرين.

قال تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾

وجاء في الحديث الشريف: «لو تكاشفتم لما تدافنتم»

❁ قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ..﴾

(س) لماذا لم يُرجع النبيُ ﷺ المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن الكفار بينما كان يُرجِعُ الرجال فقط؟

(ج) قال الجبائي: وإنما لم يجر النبي ﷺ هذا الشرط في النساء، لأنَّ المرأة إذا أسلمت لم تحل لزوجها الكافر، فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقَةُ بينهما[٢]؟

❁ قال تعالى: ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾

(س) لماذا ذَكَر (تعالى) الحرمة من الطرفين مع أن نفيها من جهة قد يفيد نفيها من الجهة الثانية؟

---

(١) تفسير الأمثل: الآية (مع تصرف).

(٢) نور الثقلين: ج٥ ص٣٠٤ -٣٠٥.

(ج) لعل الحلية هنا تعني الانسجام الذي يعتبر هدفاً وشرطاً أساسياً في الزواج، فتشير الآية إلى انعدامه من الجانبين نحو الآخر فلا يمكن علاجه بينما لو كان من طرف واحدٍ لعله يمكن علاجه والصبر عليه[1].

لا شك إن النفوس التي تختلف في عقيدتها ومنهجها في الحياة لا يمكن لها أن تعيش معَ بعض فترة طويلة في جو يَسودهُ الحنان والسكينة والمحبة، ولهذا نرى الإسلام يُحرم الزواج الذي يكون أحد طرفيه كافراً.

۞ قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾

(س) ما هي التعويضات ومن الذي يجب أن يتحملها؟

(ج) لا شك هناك تعويضات مالية يجب أن تقدم للكافر الذي انفصلت زوجته عنه بغير إرادته وهو المهر، لأن المهر الذي أعطاه أولاً لم يكن لأجل الوطء لمدة محدودة بل لحياة زوجية مستمرة، ولعل التعويض يكون للكافر الغير مُحارب أو في حال الهدنة أو يتحمل هذا التعويض بيت مال المسلمين، وذلك لأن الخطاب موجّه للمؤمنين عامة[2].

(س) ماذا سيكون مصير المرأة المؤمنة التي انفصلت عن زَوجها الكافر؟

(ج) قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وذلك بعد انقضاء العدة[3]. والمراد من ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهنّ إذ المهر أجر البضع.

(س) هل يجوز الزواج من الكافرة أو البقاء عليها إن خرجت من الإسلام؟

---

(١) من هدي القرآن: الآية.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

(٣) التفسير المنير: ج٢٨ ص١٤٣

(ج) قال تعالى: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾، استفاد الفقهاء من هذه الآية حكماً قاطعاً بحرمة الزواج من الكافرة، أو البقاء معها عند خروجها من الإسلام أو عند إسلام الزوج دون الزوجة[١].

(س) ما هو المراد من عصم الكوافر؟

(ج) العصم جمع عصمة وهو النكاح الدائم إذ يعصم المرأة ويحصنها، وإمساك العصمة هو إبقاء الرجل (بعدما أسلم)، زوجته الكافرة على زوجيتها، إذ إن الواجب عليه أن يُخلي سبيلها لبقائها على الكفر أو الشرك، وإذا كانت حاملاً فعليها العدة وإذا أنجبت فسيكون مسلماً لأن أباه مسلم.

(س) هل يجوز الزواج من الكتابية؟

(ج) استفاد الفقهاء من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لهُمْ وَالمُحْصَنَاتُ مِنْ المُؤْمِنَاتِ وَالمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[٢].

ومن النصوص التي تدل على أن سورة المائدة هي آخر سورة نزلت وهي محكمة لا نسخ فيها، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ سورة المائدة آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها»[٣] بأن النكاح من أهل الكتاب جائزٌ.

(س) هل يمكن تقديم الكتابية على المسلمة؟

(ج) عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «في الرجل المؤمن يتزوج

---

(١) المصدر.

(٢) سورة المائدة: ٥.

(٣) الدر المنثور: ج٢ ص٢٥٢.

النصرانية واليهودية، قال إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهودية والنصرانية؟ فقلت: يكون له فيها الهوى؟ فقال: إن فعل فليمنعها من شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، واعلم أن عليه في دينه في تزويجه إياها غضاضة»[١]. يظهر من هذه الرواية أن تقديم الكتابية على المسلمة مكروهٌ وليس بحرام[٢].

❁ قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(س) ما هي حقوق الزوج المؤمن الذي ترك زوجته الكافرة؟

(ج) إن القرآن الكريم يعطي المؤمنين حَقَّ المطالبة بما أنفقوا على زوجاتهم اللاتي بقين على الكفر واخترنه بَدَلاً عن الإيمان بالله واليوم الآخر.

❁ قال تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾

(س) ما المراد من الآية المباركة؟

(ج) قال أغلب المفسرين: إذا تركت زوجاتكم دار الإسلام إلى دار الكفر، وأعقبتم الكفار بغزوة بعد أُخرى حتى هزمتموهم وغنمتم منهم الغنائم، فأعطوا الذين تركتهم زوجاتهم من الغنائم.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ...﴾ ولم يقل: وإن ذهب شيء..؟

(ج) الفوت هو ابتعادُ الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه، بينما كلمة

---

(١) المصدر.

(٢) من هدي القرآن: الآية.

ذهب لا تشير إلى هذا الأمر فيكون معنى الآية بشكل كامل هو: إن ذهب وانفلت منكم إلى الكفار مهر من أزواجكم بلحوقهن بهم وعدم ردّهم ما أنفقتم من المهر إليكم فأصبتم منهم بالغزو غنيمةً فأعطوا المؤمنين الذين ذهبت أزواجهم إليهم مما أصبتُم من الغنيمة مثل ما أنفقوا من المهر[١].

۞ قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾

(س) كيف بايع النبي صلى الله عليه وآله النساء؟

(ج) ذكر البعض حول كيفية البيعة، أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بجلب إناءٍ فيه ماء، ووضع يده المباركة فيه، ووضع النسوة أيديهن في الجهة الأخرى من الإناء[٢]، وهذه الصورة من البيعة تمت أيضاً في يوم الغدير بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، حيث جمع المسلمين في غدير خم وأمرهم ببيعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة لهم من بعده وذلك بأمر من الله (سبحانه وتعالى) عندما نزل قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[٣].

فبايع المسلمون الإمام عليه السلام وكان عددهم (١٢٠ ألف) وكان فيهم أبو بكر وعمر جاءا وبايعا الإمام عليه السلام وكلٌّ يقول: (بخ بخ لك يا علي لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنة).

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٤٨.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(س) ما هي شروط البيعة التي وضعها النبي ﷺ لأجل دخول النساء في الإسلام والإيمان؟

(ج) وضع الإسلامُ ستّةَ شُروط لأجل قبول إيمان النساء وهي: ترك الشرك وعبادة الأوثان وترك السرقة والزنى وعدم قتل الأولاد واجتناب البهتان وإطاعة أوامر النبي ﷺ.

(س) لماذا أمر الله سبحانه وتعالى بهذه الشروط دون غيرها؟

(ج) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ألا وإنَّ الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر، وظلم لا يُترك، وظلمٌ مغفور لا يطلب: فأما الظلم الذي لا يغفر: الشركُ بالله قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهَنَاتِ، وأما الظلم الذي لا يُترك فظلم العباد بعضهم بعضاً» فبما أن الشروط التي ذكرتها الآية المباركة تتعلق بحق الله سبحانه وتعالى وبحق المجتمع فلهذا جاء التأكيد عليها وأصبحت من الشروط الأساسية في قبول الإيمان والإسلام.

(س) لماذا جُعِلَ الامتحان للمؤمنات المهاجرات، دون الغير المهاجرات؟

(ج) إن المهاجرات يأتين من دار الكفر والحرب فلا اطلاع لهن على الشرائع والأحكام، فلابُدّ من امتحانِهنَّ، وأما المؤمنات فهن في دار الإسلام فيعرفن الأحكام فلا حاجة إلى امتحانهن لقبول إيمانهن[1]

(س) كيف يمكن للمؤمنة أن تشرك بالله سبحانه وتعالى بعد أن أعلنت إسلامها وتوحيدها لله عز وجل؟

(ج) يمكن للمؤمنة وكذلك للمؤمن أن يقع في حبائل الشرك وذلك إذا

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٣٠٨.

خضع لسيادةٍ غير السيادة الإلهية كالتسليم المطلق للأزواج والأقرباء، في حين لا يجوز الولاء والطاعة إلا للقيادة الربانية الحقة التي تدعو إلى توحيد الله عز وجل وطاعته دون غيره من الخلق[1].

❁ قال تعالى: ﴿..وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ..﴾

(س) هل يمكن للمرأة التي اختارت الإيمان أن تسرق وتزني؟

(ج) قد تضطر المرأة المؤمنة التي ليس لها من يعولها أن تمد يدها لتسرق ما يسد حاجتها أو تدفعها الحاجة الجنسية إلى الزنا عندما تفقد زوجها، ولكن يمكن لهذه المرأة أن تختار الطريق السليم الذي يسمح به الإسلام لكي تحصل من خلاله على رغيفها وعلى حاجتها الجنسية بشكل صالح يرضاهُ الله سبحانه وتعالى، حيث لا يحرم الإسلامُ على المرأة العملَ لا سيما عند الضرورة والحاجة ولا يمنعها من أن تتزوج من زوج آخرٍ سواء كان دائماً أو موقتاً وذلك بعد انتهاء عدة الطلاق من الأول أو بعد انتهاء عدة الوفاة.

❁ قال تعالى: ﴿..وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾

(س) هل يمكن للأم أن تقتل أولادها؟

(ج) لا تقوم الأم حتى في أشد الظروف الحياتية وأقساها بالإقدام على قتل ولدها، بل إنها تقدّم كل ما تملك لأجل حياته وسعادته، ولكن التي تقوم بقتل جَنينها هي التي حملتهُ عن طريق غير مشروع، فلكي تتخلص من عار الزنا تقتل حملها.

وتارة يكون القتل بصورة الوأد (وهي عملية دفن البنات والأولاد أحياء) كما كان يجري في السابق بشكل كثير ويجري الآن أيضاً بشكل آخر حيث يدفنون

---

(١) من هدي القرآن: الآية (بتصرف).

الأولاد قبل أن يروا الحياة قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[١].

❁ قال تعالى: ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾

(س) ما هو البهتان الذي يمكن للمرأة أن تفتريه؟

(ج) البهتان هو الطريق الآخر الذي يمكن للمرأة استخدامهُ لأجل التخلص من حَملِها الغير المشروع، وذلك بأن ترمي به شخصاً بأنه اغتصبها.

أو يحملن من الزنا ثم يضعنه وينسِبنَهُ إلى أزواجهن كذباً فهو بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، لأن الولد إذا وضعته أمه سقط بين يديها ورجليها[٢].

❁ قال تعالى: ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

(س) ما هو المعروف الذي أمرن أن يتمسكن به؟

(ج) قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «هو ما فرض الله عليهنّ من الصلاة والزكاة، وما أمرهُنّ به من خير»[٣]

وهكذا التسليم المطلق بجميع ما أمر الله سبحانه وتعالى به في كتابه الشريف لاسيما في الأمر المتعلق بالقيادة الشرعية والولاية الحقيقية التي أشار الله تعالى إليها بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٤].

(س) لماذا لم يقل تعالى: ولا يعصينكم.. لتشمل جميع المؤمنين؟

---

(١) سورة التكوير: ٨ -٩.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

(٣) نور الثقلين: ج٥ ص٣٠٨.

(٤) سورة المائدة: ٥٥.

(ج) إن التسليم والطاعة الكاملة لابد أن تكون للقيادة الربانية الواحدة إذ هي السلطة الشرعية للجميع ولا يجوز للمرأة أن تجعل لها ولياً فوق الولاية الشرعية الصالحة[١].

❁ قال تعالى: ﴿..فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(س) لماذا الاستغفار لَهُنَّ؟

(ج) استغفار الرسول ﷺ لأجل الأخطاء السابقة والجانبية التي قد يتورطن بها، وتشير الآية إلى المعنى الحقيقي للهجرة بأنه ليس انتقالاً جسدياً فقط وإنما هو انتقال روحي وسلوكي بالإضافة إلى الانتقال المكاني[٢].

(س) ما وجه الترتيب في الأمور التي ذكرتها الآية السابقة؟

(ج) ١ ـ قدم الأقبح على ما هو الأدنى منه في القبح، ثم كذلك إلى آخره.

٢ ـ قيل قدم من الأشياء المذكورة ما هو الأظهر فيما بينهم[٣].

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

(س) كيف نصِلُ الآيةَ بما تقدم؟

(ج) ابتدأت السورة المباركة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ..﴾ واختتمت بقوله ﴿..لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ..﴾ فبداية السورة وختامها وما بينهما من آيات تدعو إلى مقاطعة أعداء الله سبحانه وتعالى وملازمة أولياء الله والصالحين من عباده وهم

(١) من هدي القرآن: الآية (بتصرف).

(٢) المصدر السابق: (بتصرف).

(٣) التفسير الكبير: الآية.

الذين اخذوا بأوامره وانتهوا عن نواهيه، وأن نتأسى ونقتدي بهم كنبي الله إبراهيم والذين معه.

(س) من هم المغضوب عليهم؟

(ج) ١ ـ قيل إنهم اليهود وذلك لقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وما ورد في تفسيرها وتأويلها من أخبارٍ.

٢ ـ والذي يظهر: هم كل من يعمل ما يستحق غضب الله (تعالى) ولو كان صاحب العمل يدعي الإسلام والإيمان والعلم.

❁ قال تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ﴾

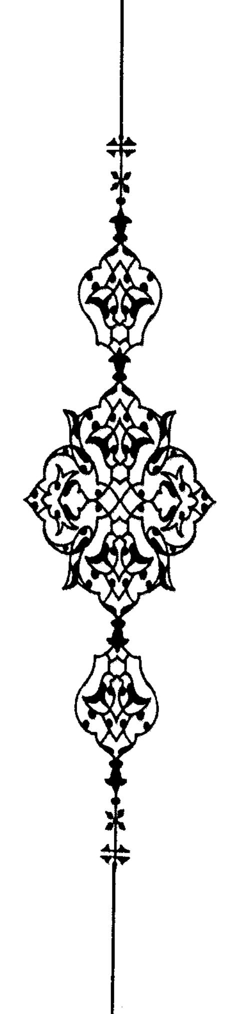
(س) لماذا يئس اليهود والذين على خطهم من السعادة في الآخرة؟

(ج) بما أن اليهود يعرفون نبينا محمداً ﷺ بأنه رسول من الله ولهذا فإنهم قد أفسدوا آخرتهم بتكذيبهم إياه وبترجيحهم للحياة الدُنيا ويئسوا من الخير في الآخرة، كما يئس الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث من موتاهم أن يُبعثوا[1].

---

(١) المصدر.





سورة الصف



سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم
بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟
أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ

عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ
تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ
قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

فضل السورة:

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأ الصف، وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفه الله مع ملائكته وأنبيائه المرسلين»[1].

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٣٠٩.

مفردات السورة:

سبّح: نزّه.

مقتاً: المقت هو البغض الشديد.

مرصوص: الرص إحكام البناء، يقال رصصت البناء أي أحكمته، أصله من الرصاص لتلاؤمه وشدّة اتصاله.

زاغوا: مالوا عن جادة الصواب.

الصف: جعل الأشياء على خط مستو كالناس والأشجار[١].

الافتراء: الكذب، الإفساد.

بأفواههم: أفواه جمع فم، وكل موضع علق الله تعالى حكم القول بالفم فيه أشارة إلى الكذب وأن الاعتقاد لا يطابقه[٢].

التجارة: التصرف في رأس المال طلباً للربح، وهذه اللفظة وحيدة في كلام العرب حيث يأتي بعد التاء حرف الجيم.

الحواريون: قيل إن أصل الكلمة هي الحور ومعناه البياض سموا بذلك لطهارة قلوبهم وصفائها.

ظاهرين: غالبين.

الطائفة: الجماعة، وقيل: إنها تطلق على الواحد فصاعداً، قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

فعن ابن عباس قال: الطائفة: الرجل فما فوقه، وعن مجاهد قال:

(١) مفردات الراغب.

(٢) مفردات الراغب.

(٣) سورة النور: ٢.

الطائفة: واحدٌ إلى الألف[1].

سبب النزول:

ذكر المفسرون أسباباً عديدة لنزول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ...﴾ منها:

١ ـ قيل: إن الآية المباركة نزلت في جماعة من المسلمين كانوا يقولون: إذا لقينا أعداءنا لم نفر ولن نرجع عنهم، إلا أنّهم لم يفوا بما قالوا يوم أحد، حتى شجّ وجه الرسول ﷺ وكسرت رباعيته الكريمة.

٢ ـ بعد أن بيّن الله تعالى الثواب العظيم لشهداء بدر، قال قسم من الصحابة: ما دام الأجر هكذا، فإننا سوف لن نفرّ في الغزوات المقبلة، إلا أنهم فرّوا في غزوة أحد، فنزلت الآية أعلاه موبخة لهم.

هذا بعض ما ذكروه في سبب نزول هذه الآية، ولكنْ للآية مفعول سارٍ فهي توبّخ وتذم كل من يقول ما لا يفعل لا سيما في الأمور المتعلقة بحقوق الآخرين والمرتبطة بأمور الدين.

موضوع السورة:

١ ـ تتحدث الآية الأولى من السورة عن تنزيه الله سبحانه وتعالى العزيز الحكيم، وإن ما في السموات والأرض قد سبَّح لله ويسبحه إلى يوم القيامة، وفي قوله تعريض بالإنسان الكافِر فما باله لا يسبح ربه الذي خلقه وخلق ما في الكون لأجله؟!

٢ ـ تدعو السورة المباركة إلى الابتعاد عن الكلام الفارغ الخالي من التطبيق

---

(١) المصدر.

التنزيه الكامل أو التسبيح المطلق لا يكون إلا للذي لا عيب له إطلاقاً وليس هناك من لا عيب له ولا نقص فيه إلا الله سبحانه وتعالى، فلهذا فهو أولى بالتسبيح والعبادة من غيره، وغيره لا يجوز له ذلك.

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾

(س) هل يمكن للمُؤمن أن يقول ولا يفعل؟

(ج) إن بلوغ الإنسان درجة الاتحاد بين القول والعمل من أعلى رتب الإيمان، ومن أصعب الأعمال، فلذا يحتاج المؤمن لبلوغ هذه المنزلة العالية إلى توفيق إلهي وسعي عظيم ومستمر، وإن فصل القول عن العمل صفة المنافقين، فعلى المؤمن أن يكون حذراً من الوقوع في حفرة النفاق، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «مَن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خَسِرَ، ومن خاف أمِنَ، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فَهِمَ، ومن فَهِمَ علم»[١].

(س) هل يمكن القول بأن المراد من ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في الآية المباركة هم المنافقون؟

(ج) لا يمكن الإصغاء إلى قول بعض المفسرين، بأن المراد من الذين آمنوا هم المنافقون وذلك لأن سياق الآيات التالية كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً﴾ وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ...﴾ وغير ذلك يفيد أن متعلق التوبيخ كان هو تخلف بعضهم عما وعد من الثبات في القتال وعدم الانهزام وغير ذلك من صور الجهاد[٢].

(س) لماذا يمقتُ الله الذي يقول ولا يفعل؟

---

(١) نهج البلاغة: ح/ ١٩٨.

(٢) تفسير الميزان: الآية.

صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[١]. إذ يُسبحُ كلُ مخلوق من المخلوقات بطريقة خاصة به، لا ينقطع عنها أبداً كما تشير الآية المباركة، إلاّ الإنسان فإنه المخلوق الوحيد بين مخلوقات هذا الكون العظيم الذي ينقطع ويفتر وأحياناً يتكبر ويتجبر ويرفض الخضوع لربه والتواضع له سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ❖ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ❖ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ❖ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ❖ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ❖ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ❖ كَلاّ لمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[٢].

(س) ما علاقة قوله (تعالى): ﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...﴾ بالآية التالية لها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾؟

(ج) افتتاح الكلام بالتسبيح لجميع المخلوقات فيه توبيخ للمؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون، وتقريع كامل لهم، محصله هو أن الذي يقول ما لا يفعل لا يمكن أن يعد من المسبحين لله سبحانه وتعالى وفيه تعريض لهم وهو: ما الذي ينقصكم لكي تكونوا أقل شأناً وقيمة من المخلوقات الأخرى؟! إن سائر المخلوقات في طاعة كاملة لربها (سبحانه)، فلماذا يُنزلُ الإنسان نفسه إلى أسفل السافلين وهو سيد المخلوقات أجمعين، وينزل الإنسان إلى الحضيض وإلى الهاوية وذلك عندما يخالف قولُهُ عملَه؟!

(س) ما هو التسبيح؟ ولماذا لا يجوز إلا لله سبحانه وتعالى؟.

(ج) التسبيح هو التنزيه، ولا يجرى إلا في الذي لا عيب له، ومن هنا فإن

---

(١) سورة النور: (٤).

(٢) سورة عبس: الآية ١٧ — ٢٣.

(تعالى) دائم وغير منقطع في كل الأزمان سواء في الماضي والحاضر والمستقبل[١].

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة صفتي العزة والحكمة لله تعالى ولم تذكر غيرها من الصفات؟

(ج) لما تحدثت السورة عن الجهاد بمختلف الأمور لهذا فإنه تعالى وعد عباده بالنصر والغلبة، فإن نصره العزيز للمؤمنين مظهرٌ لعزّته، أما حكمته فإنها تتجلى حين لا ينصر إلا من نصره واتبع نهجه[٢].

(س) ما أهمية التسبيح الذي تدعو إليه الآية المباركة؟

(ج) التسبيح هو البصيرة الأساسية التي تنبثق منها بصائر الوحي الأخرى، وهو أعلى مراتب العرفان والتعلق الروحي بالله تعالى، كما أن الجهاد أعلى درجات العمل، والقلب المسبح هو الذي يبعث صاحبه إلى الجهاد في ميادين الحياة المختلفة، وإن ابتعاد الإنسان عن التسبيح ليس مجرد معصية يرتكبها بل هو شذوذٌ وخروج عن الحالة الطبيعية للمخلوقات التي فطرت على تسبيح الله عز وجل، والإنسان هو أحد المخلوقات التي خلقها الله عز وجل، بل هو سيدها فيما لو عرف نفسه[٣].

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

(س) كيف تسبح الكائنات لله (تبارك وتعالى)؟.

(ج) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ

---

(١) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف).

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٤٠ (مع تصرف).

(٣) المصدر (مع تصرف) ج١٥ ص٣٣٩.

والعمل.

٣ ـ ترغب السورة المؤمنين وتحرضهم على الجهاد في سبيل الله عز وجل بمقاتلة أعداءِ دينه وتقول بأن هذا الدين نور ساطع لله سبحانه وتعالى لا يمكن إطفائه بالأفواه، فهو ليس كنور الشمعة الذي يمكن إطفاؤهُ بنفخة واحدة.

٤ ـ وأن النبي ﷺ رسول من الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق، وأن نبي الله عيسى عليه السلام قد بشر بني إسرائيل بمجيئه ﷺ.

٥ ـ في السورة استعراض مختصر لحياة حواري السيد المسيح عليه السلام ودعوة إلى استلهام الدروس والعبر من سيرتهم الصالحة.

الأسئلة والأجوبة:

۞ قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾

(س) لماذا سميت السورة بسورة الصف؟

(ج) بما أن السورة تتحدث عن الجهاد بمختلف صوره وأبعاده، وتدعو الناس إلى الانخراط جميعاً في هذه البوتقة الصالحة. بشكلٍ واحدٍ وبخط مستقيم، فلذا فلعل السورة سميت بذلك من هذا الباب[1].

(س) قال تعالى في بداية بعض السور ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ..﴾ وفي البعض الآخر ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ..﴾ وفي البعض الآخر ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى..﴾ فكيف نجمع بين هذه الآيات؟

(ج) إن سور التسبيح جاءت مختلفة، وذلك للإشارة إلى أن التسبيح لله

(١) من هدي القرآن: الآية (مع تصرف).

(ج) تنعدم المسافة والفاصلة بين النظرية والتطبيق في الإسلام، فإذا ما ظهرت فاصلة بينهما، فهي الثغرة التي يدخل الشيطان منها إلى حقيقة العمل وواقعه، كما يتسلل العدو إلى كيان الأمة الواحدة[١].

(س) هل المراد من قوله ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ هو أن الله تعالى يريد أن يستفهم ذلك منا؟

(ج) إنّ الاستفهام من الله تعالى محال، إذ إنّه عالم بجميع الأمور بل إن المراد من قوله تعالى هو إلزام من أعرض عن الوفاء بما وعد أو أنكر الحق وأصر على الباطل[٢].

۞ قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾

(س) لماذا يكون المؤمن مبغوضاً عند الله سبحانه وتعالى فيما إذا لم يفعل ما يقول؟

(ج) إن القول الخالي من العمل صفة تطبّع عليها المنافق فإنّ الذي يدعي الإيمان ثم يتلبس بصفة المنافقين لا شك سوف يضع نفسه هدفاً لغضب الله عز وجل.

(س) لماذا عدّ القول بلا عمل ذنباً عظيماً يستوجب الغضب والبغض من الله عز وجل؟

(ج) لو نظرنا إلى عوامل تقدم المسلمين وانحطاطهم على ضوء هذه الآية المباركة، لرأينا الكلام الخالي من العمل، والعهد المنقوض، والوعد المُخلفَ، واليمين الكاذب، من العوامل الأساسية في تخلف الأمة الإسلامية وسقوطها في

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٣٥ (بتصرف).

(٢) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٣١١.

أحضان أعداء الإسلام من المستعمرين الصهاينة وغيرهم[١]. فإذا أراد المسلمون إعادة مجدهم وعزهم الأصيل، فلابد أن يرجعوا إلى أنفسهم ويزيلوا حالة الخداع والكذب منها.

(س) هل للمقت درجات؟

(ج) لا شك أن بغض الله وغضبه يزداد بازدياد قيمة الأمر الذي خُولفَ فيه عملياً، فمثلاً إذا تعهد المسلم بالوفاء والتسليم للقيادة الإسلامية الحقة المنصوبة من قبل الله عز وجل، فلابد أنَّ عليه أن يفي بعهده، لأنه من أكبر المواثيق في الحياة بعد التوحيد لله سبحانه وتعالى، فبمخالفته يعرض الإنسان نفسه لأشد أنواع الغضب والمقت الإلهي، فالذي قال للإمام علي عليه السلام: «بخٍ بخٍ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنة» ولم يعمل بما قال وعاهَدَ، أليست هذه المخالفة توجب مقت الله سبحانه وتعالى وغضبه؟

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) الآية السابقة جاءت وهي تحمل التوبيخ الشديد للذين يقولون ما لا يفعلون، بينما جاءت هذه الآية لِتُبين بأن الله سبحانه وتعالى يحب الذين إذا وعدوا بالجهاد والقتال أن يلتزموا بما وعدوا، فتكون لازمه أن يبغض الذين يعدون ثم ينهزمون إذا حضروا معركة القتال[٢].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً..﴾

---

(١) من هدي القرآن ص٣٤١ (مع تصرف).

(٢) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٤٩ (بتصرف).

ولم يقل صفوفاً في حين يمكن أن يكون المقاتلون في صفوف متعددة؟

(ج) إن صفاً مصدر بمعنى اسم فاعل ولذا لم يجمع، وهو حال من ضمير الفاعل في (يقاتلون)، فالمراد من الآية هو: إنه تعالى يحب الذين يقاتلون في سبيله حال كونهم صافين[١]، فبهذا يمكن أن يكون في صفوف متعددة.

(س) ما هو الصف المرصوص، ولماذا استخدمته الآية هنا؟

(ج) الصف هو جعل الشيء في خط مستوٍ، والمرصوص مأخوذة من كلمة الرصاص، وهذه المادة توضع بعد تذويبها بين طبقات البناء من أجل استحكامه وجعله قوياً جداً، وتطلق هذه الكلمة على كل أمرٍ قوي ومحكم، استخدم هذا المثل في الآية للإشارة إلى أن وقوف وثبات المجاهدين أمام العدو يجب أن يكون قوياً وراسخاً تتجسد فيه وحدة القلوب والأرواح والعزائم، بصورة تعكس أنهم كالصف الواحد المتراص الذي ليس فيه تصدع وتخلخل[٢].

جاء في حديث عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه عندما كان يهيئ أصحابه للقتال بصفين، قال: إن الله تعالى قد أرشدكم إلى هذه المسؤولية حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ وعلى هذا فأحكموا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدّموا الدارع، وأخّروا الحاسر، وعضُّوا على الأضراس فإنه أبنى من السيوف عن الهام...﴾[٣].

(س) من الواضح أن المؤمنين المقاتلين أقوى بكثير من أعدائهم الكافرين

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٦٣ (بتصرف).

(٣) نهج البلاغة خ١٢٤.

فلماذا يجب أن يكونوا مع هذا كالبنيان المرصوص؟

(ج) يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن يكونوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص في شتى مجالات الحياة، وليس في ساحات القتال فقط وذلك لأن العدو قد يتخذ جبهات قتالية أخرى لا ترى بالعين المجردة، وهذا ما هو حاصل اليوم، فالقرآن الكريم عندما يأمر المؤمنين بالوحدة الروحية والجسدية فإنما يفعل ذلك لأنهم قد يواجهون سيلاً مدمراً عارماً لا يمكن مواجهته إلا من خلال السدّ الحديدي المرصوص، ومما لا شك فيه أن لكل جزء من هذا السد دوراً معيناً في مواجهة السيل العارم للعدو وسوف يقضي على جبروته وطغيانه من خلال وحدة الصف وتماسك أعضائه المتوكلين على الله سبحانه وتعالى.

(س) ماذا يجني المؤمن من حب الله له: بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ...﴾؟

(ج) إن الذي يجنيه المؤمن من خلال حبّ الله عز وجل له هو التوفيق والكرامة والانتصار في جميع مجالات الحياة، بعد أن نصر ربه بقوله وعمله، قال تعالى ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

(س) لماذا اختار الله سبحانه وتعالى القتال، بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ...﴾ ولم يختر أمراً آخراً إذ لم يقل إن الله يحب الذين ينفقون أو يتعلمون؟

(ج) القتال هو قمة العمل الصالح، إذ يعطي المؤمن في سبيل الله عز وجل أعز ما يملك وهي النفس، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، من خلال تعريضها لأشد المخاطر التي تؤدي إلى هلاكها، وإن المؤمن إذا قرّر القتال في

---

(١) من هدي القرآن: ص٣٤٢ (بتصرف).

سبيل الله عز وجل لا يقصد من عمله هذا الحصول على شيء من الأمور الدنيوية كالمال أو السمعة أو شكرِ الآخرين له، فهو - في هذه الحال - لا يرى أمام عينيه سوى الله تعالى الذي قَرَّر الذهاب إليه، لأجل نصرة الحق ودحض الباطل، وهذا هو الذي كان يطلبه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من خلال جهادهم بين يدي إمامهم عليه السلام(١).

(س) البنيان المرصوص هو المتماسك بقوة دون أن يكون فيه أي خلل ونقص، ولكن هناك اختلاف وافتراق في الرأي بين المؤمنين وشيء من الحسد والغل كما قال ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ...﴾ فكيف يطلب الله سبحانه وتعالى من المؤمنين أن يكونوا كالبنيان المرصوص الذي لا اختلاف فيه ولا خلل؟

(ج) لا تعني الآية عدم وجود الاختلاف بين المؤمنين بشكل كامل، بل إن الاختلاف موجود في الرأي وفي التفكير والعمل، ولكن الأمر المهم هو أن لا يتحول هذا الاختلاف إلى الصراع وإلى الحقد الذي يؤدي إلى تهشيم وحدة الصف(٢).

❁ **قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾**

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) تحدثت الآية السابقة حول شرط الانتصار، وأشارت بأنهُ يجب أن يكون المقاتلون صفاً واحداً، بينما أشارت هذه الآية إلى أن فلاح هذا الصف

---

(١) المصدر السابق: (مع تصرف).

(٢) المصدر السابق: (مع تصرف).

ونجاحه لابد أن يكون تحت راية القيادة الإلهية بشكل كامل، وأن يتفاعل المؤمنون مع قائدهم الرباني بما يرضي الله عز وجل، لا أن يكونوا من المؤذين له فإنه سيؤدي بهم إلى هلاكهم في الدنيا والآخرة، وهذا ما صار إليه بنو إسرائيل[١].

(س) الإيذاء كان بين موسى عليه السلام وقومه فما علاقة ذلك بالمؤمنين والمسلمين إلى قيام يوم الدين؟

(ج) في الآية نهيٌ التزامي للمؤمنين عن أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فيؤول أمرهم إلى ما آل إليه أمر قوم موسى من إزاغة القلوب، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾.

الآية في معنى قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً ❖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[٢].

(س) هل أوذي نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كما أوذي نبي الله موسى عليه السلام كما تقول الآية؟

(ج) قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»، واجه نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الأذى في حياته وفي ساعة احتضاره وبعد وفاته ولا سيما من الذين تقربوا إليه بأبدانهم دون أرواحهم وقلوبهم.

---

(١) المصدر.

(٢) الأحزاب: ٧٠.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ .

(س) ماذا كانت أذية بني إسرائيل لنبيهم موسى عليه السلام؟

(ج) سياق الآيتين وذكر تبرئة موسى عليه السلام يدل على أن المراد بإيذائه مما برّأه الله منه، ليس هو معصيتهم لأوامره وخروجهم عن طاعته، إذ لا معنى حينئذٍ لتبرئته، بل هو أنهم وقعوا فيه عليه السلام وقالوا فيه ما هو عارٌ وشين، فتأذى فبرّأه الله مما قالوا ومما نسبوا إليه، وقوله في الآية التالية: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ يؤيد هذا المعنى حيث قيل إنه عليه السلام اتّهم بقتل أخيه هارون عليه السلام، وأخرى دَسَّ قارون إليه امرأةً وزعم أنه اعتدى عليها، وذلك ضمن مخطط للتخلص من دفع الزكاة، وثالثة أنه اتّهِمَ بالسحر والجنون ورابعة أنه ألصقت به عيوب جسمية، جاء شرحها في تفسير سورة الأحزاب آية ٦٩[١].

(س) ما فائدة قول نبي الله موسى عليه السلام لقومه: ﴿..وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾؟

(ج) إن كلام موسى عليه السلام لهم فيه استنكار شديد لأذاهم له، والمعنى أنهم كانوا يؤذونه في حالٍ يعلمون علماً قطعياً معها بأنه رسول من الله إليهم؛ وعلمُهم هذا يوجب عليهم أن يعظّمُوه ويوقروه بدل الاستخفاف والتوهين.

۞ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

(س) ما المراد من مُجازاة الازاغةِ بالمثل كما تقول الآية المباركة؟

(ج) إن المراد من إزاغته تعالى للمزيغ هو قطع رحمته وهدايته عنه كما

(١) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٦٧ (مع تصرف).

أشارت الآية إلى هذا الأمر ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، وليس المراد الإزاغة والإضلال الابتدائي، فإن هذا لا يكون منه سبحانه وتعالى ولا يليق بساحته المقدسة[1].

(س) هل يمكن لهؤلاء الذين أزاغ الله قلوبهم الرجوع إلى حظيرة الإيمان والصلاح مرة أخرى؟

(ج) إن الزيغ أو القطع لرحمة الله وهدايته لهم لم يأتِ إلا بعد إصرارهم على الضلال والكفر ورفضهم لقبول الحق بشكل كامل، فلعل هؤلاء الذين وصلوا إلى هذه المرحلة من الذين يستحقون الختم على قلوبهم كما قالت الآية المباركة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] بعد أن تبين منهم أنهم لا يريدون الرجوع إلى حظيرة الإيمان والهداية أبداً، كما أوحي إلى نبي الله نوح عليه السلام في هذا الأمر قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3]

(س) ماذا يمكن لنا فهمه من الآية بشكل عام؟

(ج) في الآية تنبيه على عظم إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث إنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى[4]. نقول للفخر الرازي: هل مرّت عليك الأحاديث التي يرويها المسلمون في كتبهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بضعته فاطمة

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) ٢: ٦/٧.

(٣) سورة هود: ٣٦.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي ص٣١٢.

الزهراء عليها السلام ومنها أنه قال: «وهو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها، فهي بضعة مني، هي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني»[١]؟!

❁ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ..﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) إن هذه الآية والتي قبلها والآيات الثلاث التي بعدها مسوقة لتبين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسول من الله سبحانه وتعالى أرسله بالهدى ودين الحق، فعلى المؤمنين أن لا يؤذوه كما أوذي نبي الله موسى من قبله، وهم يعلمون أنه رسول الله إليهم وعليهم أن ينصروه ويجاهدوا في سبيل الله لإحياء دينه ونشر كلمته[٢].

❁ قال تعالى: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾

(س) ما المراد من تصديق عيسى عليه السلام بتوراة نبي الله موسى عليه السلام؟

(ج) إن عيسى عليه السلام يريد أن يشير إلى أن دعوته لا تغاير الدين الذي كان قبله وهو دين موسى عليه السلام ولا تناقض شريعته بل تصدقه، ولم تنسخ من أحكامه إلا اليسير، والنسخ هو بيان انتهاء مدة الحكم وليس بإبطاله، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[٣].

وقال عز وجل عن لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد ص٢٩.

(٢) الميزان: ج٢٨ ص٢٥١.

(٣) سورة آل عمران: ٥٠.

لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١][٢].

(س) ما أهمية كلام نبي الله عيسى عليه السلام؟

(ج) في كلام نبي الله عيسى عليه السلام إشارة إلى مهمته ودوره من بعثته، أنّهُ ليس أكثر من حلقة وصل بين الرسالة السابقة والرسالة اللاحقة للنبي محمد صلى الله عليه وآله، فمن هذا نعلم إن عيسى عليه السلام ليس إلا رسولاً بين رسولين، ولم يدَّعِ غير ذلك، وإنَّ ما نسب إليه من الألوهية أو أنه ابن (الله) ما هو إلا كذب وافتراء محض[٣].

❁ قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾

(س) ماذا يستفيد بنو إسرائيل من هذه البشارة؟

(ج) من الواضح أن البشرى هي الخير الذي يسر المبشَّر ويفرحه، والخير المرتقب من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله هو انفتاح باب الرحمة الإلهية على جميع الناس لدنياهم وعقباهم، وبما أن رسالة النبي صلى الله عليه وآله أكمل الرسالات وأتمها وهي لجميع الناس إلى يوم القيامة، لذا فإن هذه البشارة الكبرى هي لبني إسرائيل أيضاً، وفيها دعوة الإيمان بها والأخذ بها قولاً وعملاً، وإن وجود هذه البشارة في كتبهم حجة واضحة عليهم في وجوب الإيمان بها والسير على خطاها[٤].

(س) لماذا قالت الآية المباركة ﴿أَحْمَدُ﴾ ولم تقل (محمد) صلى الله عليه وآله؟

(ج) إن عيسى عليه السلام أشار إلى اسم النبي صلى الله عليه وآله الموجود في السماء، وإنه لم

---

(١) سورة الزخرف: ٦٣.

(٢) سورة الميزان: ج٢٨ ص٢٥٢.

(٣) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٦٨ (مع تصرف).

(٤) تفسير الميزان: ج٢٨ ص٢٥٢ (مع تصرف).

يذكر اسمه الذي في الدنيا لأنه لم يكن قد أتى بعد.

في تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾، قال: سأل بعض اليهود النبيّ ﷺ: لِمَ سميت أحمد ومحمداً وبشيراً ونذيراً؟ فقال: أما محمد فإني في الأرض محمود، وأما أحمد فإني في السماء أحمد مني في الأرض، وأما البشير فأُبشِّرُ من أطاع الله بالجنة، وأما النذير فأنذر من عصى الله بالنار[1].

(س) هل كان اسم النبي ﷺ (أحمد)؟

(ج) ١ ـ جاء في كتب التاريخ أن للنبي ﷺ اسمين منذ الطفولة والناس كانوا يخاطبونه بكليهما، أحدهما (أحمد) والثاني (محمد)، الأول اختاره له جده عبد المطلب والآخر اختارته أمه آمنة عليها السلام.

٢ ـ عند النظر إلى الروايات التي جاءت حول معراج النبي ﷺ نرى بأن الله سبحانه وتعالى خاطب نبيه في تلك الليلة بـ(أحمد)، ومن هنا يمكن القول أنه ﷺ اشتهر في السماء بـ(أحمد) وفي الأرض بـ(محمد). ﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾.

٣ ـ عدم اعتراض أهل الكتاب (لاسيما النصارى) على النبي الأكرم ﷺ من هذه الناحية، إذ لم يقولوا بعد سماعهم لآيات سورة الصف: إن الإنجيل قد بشّر بمجيء (أحمد) وأنت اسمك (محمد)، فهذا دليل على شهرة النبي ﷺ بهذا الاسم إلى جانب اسمه (محمد) ﷺ، ولو كان هناك اعتراض لوصلنا[2].

وإن (أحمد) يحتمل معنيين (أحدهما) المبالغة في الفاعل، ويعني أنه أكثر

---

(١) تفسير الميزان: ج٢٨ ص٢٥٦.

(٢) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٧٣.

حمداً لله من غيره (وثانيهما) المبالغة من المفعول ويعني أنه يحمد بما فيه من الإخلاص والأخلاق الحسنة أكثر ما يحمده غيره[١].

(س) إن عيسى عليه السلام صدّق بالتوراة التي نزلت قبل الإنجيل، كما قالت الآية المباركة ﴿... وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾، فلماذا لا يصدق الإسلام والمسلمون بالتوراة الموجودة اليوم؟

(ج) لا يوجد تناقض بين الرسالات السماوية فكلها تدعو إلى صراط واحدٍ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾، فعيسى عليه السلام صدّق واعترف بالتوراة التي كانت موجودة مع مجيئه لأنها لم تغير بها اليد البشرية، ولكن التوراة اليوم قد تدخلت فيها الأهواء اليهودية بشكل كامل فسربوا فيها ما شاؤوا من ثقافات وأهواء ما أنزل الله بها من سلطان، ومن جانب آخر رفعوا منها ما لا يتلاءم مع رغباتهم وميولهم المحرفة[٢].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

(س) ما هي البينات التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟

(ج) قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «لم تزل الأنبياء تبشّر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم، فبشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وذلك قوله تعالى: ﴿يَجِدُونَهُ﴾ يعني اليهود والنصارى (مكتوباً) يعني صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عندهم) يعني في التوراة والإنجيل... وبشّر موسى وعيسى بمحمد كما بشّر الأنبياء (صلوات الله عليهم) بعضهم ببعض»[٣].

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٣١٣.

(٢) من هدي القرآن: الآية ج١٥ ص٣٤٥ (مع تصرف).

(٣) نور الثقلين: ج٥ ص٣١٥.

والبينات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي البشارة ومعجزة القرآن وسائر آيات النبوة[١].

(س) لماذا سمي نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأحمد دون غيره من الأنبياء؟

(ج) إن (أحمد) هي صيغة أفعل للتفضيل، وبما أن نبينا هو أكثر الأنبياء السابقين حمداً لله عز وجل، فلذا فهو يستحق هذا الاسم دون غيره من الأنبياء والمرسلين.

(س) هل إن البشارة ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ لا زالت موجودة في كتب النصارى أم ليس لها أثر يذكر؟

(ج) بالرغم من أن يد التحريف امتدت إلى العهدين المقدسين عند اليهود والنصارى وأزالت الكثير، فإن هناك إشارات لا تزال تشهد بأن عيسى عليه السلام قد بشّر بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنها النص التالي: «لكني أقول لكم الحق أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم (البيركلتوس)، ولكني إن ذهبت أرسله إليكم»، (والبيركلتوس) تعني في اليونانية: الذي له الحمد كثيراً مما يطابق كلمة أحمد، بينما الترجمة الحالية للإنجيل حرفوها إلى كلمة بارقليطا وترجموها بـ(المسلي) بينما لم تكن هذه الكلمة في الأصل.

ويقول: «إن لي أموراً كثيرةً أيضاً لا أقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأمّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنّه لا يتكلم من نفسه بل كان ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية، ويمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»[٢].

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) للتفصيل راجع تفسير الفرقان ج٢٨ ص٣٠٦.

(س) هل من الواجب اليوم على اليهود والنصارى أن يصبحُوا مسلمين؟

(ج) قال الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام: «لم تزل الأنبياء تبشّر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم، فبشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وذلك قوله تعالى: ﴿يجِدُونَهُ﴾ يعني اليهود والنصارى (مكتوباً) يعني صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عندهم) يعني في التوراة والإنجيل... وبشّر موسى وعيسى بمحمد كما بشر الأنبياء (صلوات الله عليهم) بعضهم ببعض»[1].

والبشارة كما مر هو الخبر الذي يسرّ المبشَّر ويفرحه ولا يكون إلا بالخير الذي سيأتي، إذا فلمّا الأنبياء عليهم السلام يدعون مجتمعاتهم إلى الأخذ بالرسالة الجديدة القادمة إذ فيها من الخير الأكثر ما ليس في رسالتهم السابقة مما يدل على وجوب القيام بهذا الأمر، ثم إن الذي دعاهم إلى عدم الأخذ والإيمان بالرسالة الجديدة هو الحسد؛ لهذا اتهموا الرسالة الإلهية بالسحر، ولهذا قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة؟

(ج) جاء الاستفهام في الآية المباركة لتنكر عليهم قولهم ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ لتقول لهم بأن ما جاء به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما هو إلا تسليم كامل لله عز وجل فيما يريده ويأمر به من اعتقاد وعمل، فبعد هذا فمن يدعي بأنه باطل وليس من الله فهو مردود وكذب. إذاً فإن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ﴾

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٣١٥.

يتضمن الحجة على أنَّ قولهم ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هو افتراء على الله سبحانه وتعالى لا أكثر[١].

(س) لماذا اعتبر الافتراء على الله تعالى من أعظم الظلم؟

(ج) إن الظلم يَعظُمُ بعظمةِ من يقع عليه، فإذا نسب إلى الله تعالى فهو أعظم الظلم، إذاً فلا أظلم ممن افترى على الله الكذب ـ بنفي نسبة الدين إليه ـ والحال أنه يدعو إلى التسليم الكامل إليه، فإذاً فهو منه تعالى، وما كلام المفترين إلا ظلم وكذب محض ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

(س) تكرر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ في القرآن الكريم ١٥ مرة في أمور مختلفة، فكيف نجمع بينها؟

(ج) إن هذه الآيات المختلفة تحدثت عن موضوعٍ واحدٍ وهو منع الناس عن طريق الحق وذلك بتكذيب الآيات الإلهية وهو منتهى الظلم[٣].

۞ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) الآية وما يتلوها كالشارح لمعنى ما تقدم في الآية السابقة من ظلمهم برمي الدعوة بالسحر وعدم هدايته تعالى لهم بما أنهم ظالمون.

(س) لماذا وصفت الآية المباركة سعيهم وكيدهم ضد الحق كمن يريد إطفاء نور الله بفمه؟

---

(١) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تفسير الأمثل: ج١٨ ص٢٧٥.

(ج) إنّهُ نوعٌ من التهكم بهم وبسعيهم، إذ أنهم أخطؤوا في تخطيطهم وتفكيرهم حيث إنّ نور الله سبحانه وتعالى لا يُطفأ بالنفخ، فلو أن البشرية وقفت جميعاً وقفة واحدةً ونفخت بكل قوتها نحو الشمس فهل يمكن لها أن تقلل ولو قليلاً من حرارتها، ناهيك عن عدم قدرتهم على إطفاءها لذاتها، وهذا ما يخطئ فيه الكفار دائماً وأبداً دون أن يعتبر أحدهم بالآخر، فعلى سبيل المثال، عندما نقرأ التاريخ، نراه يذكر لنا بأن الحكام الأمويين والعباسيين بذلوا جهوداً كبيرةً لإخماد نور أئمة أهل البيت عليهم السلام بمختلف الطرق والأساليب، ولكنهم ما استطاعوا الوصول إلى ما كانوا يرجونه، بل العكس هو الذي حصل حيث إن جهودهم وكرامتهم وسمعتهم ذهبت إلى الحضيض بينما بقي ذكر أهل البيت عليهم السلام شامخاً وإلى يوم القيامة. أين ذهبت جهود يزيد بن معاوية وهارون الرشيد والمتوكل العباسي وأمثالهم، عندما قتلوا الأئمة الأطهار عليهم السلام ولم يكن قصدهم من ذلك إلاّ قتل الإسلام وإطفاء نور الله عز وجل، فلم يتمكنوا من الوصول إلى شيء قليل مما كانوا يتمنونه، و لم يكن سعيهم إلا كمن وقف أمام الشمس لإطفائها، ولكن أين المعتبر؟ أفلا يعتبر السائرون بنهج الأسلاف بأسلافهم؟! وصدق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما قال: «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار».

(س) قال تعالى في سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ..﴾ وفي هذه السورة قال (عز وجل): ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ..﴾ فما هو الفرق بين الآيتين المباركتين؟

(ج) قال الراغب: إن قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ..﴾ هو أنهم يقصدون أمراً يتوصلون به إلى إطفاء نور الله.

والمحصلة أن متعلق الإرادة في قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ هو

نفس الإطفاء، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ السبب الموصل إلى الإطفاء وهو النفخ بالأفواه؛ والإطفاءُ غرض وغاية[1]. وبمعنى آخر: إن الآية الأولى إشارة إلى الإطفاء بدون مقدمة، والثانية إشارة إلى الإطفاء باستعمال المقدمات التي تهيئ ذلك.. إن الآيتين تشيران إلى أن الأعداء لا يستطيعون إطفاء نور الله سبحانه وتعالى سواء أخذوا بالوسائل والمقدمات أم لم يأخذوا بها، فعلى سبيل المثال أمر معاوية بسب الإمام علي عليه السلام على جميع المآذن والمنابر في بلاد الشام واستمر هذا الأمر ٨٠ سنة ولكنه لم يصل إلى أمنيتِهِ في القضاء على الإسلام وعلى نور أهل البيت عليهم السلام كما فشل قَبلهُ أبو لهب. قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ..﴾[2].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾ ولم يقل بأيديهم أو غير ذلك؟

(ج) كأنما ربّنا سبحانه وتعالى يريد أن يشير إلى أن الكافرين من جهلهم وحماقتهم، يتصورون بأن نور الله وهو دينه العظيم نور ضعيف كنور الشمعة يطفأ بأدنى نفخةٍ أو بأقل جهد، وهذا ما يخطئ به الكافرون والظالمون دائماً وأبداً ولاسيما في زمننا الحاضر حيث نرى القوى الاستعمارية في العالم جندت جميع طاقاتها وقدراتها المادية والإعلامية لمحاربة الحق وأهله ولكنها سوف تبوءُ بالفشل كما فشل الأمويون والعباسيون من قبل، وقد رأى المسلمون منهم يوماً أحمر، ومع هذا لم يستطيعوا إطفاء نور الله (سبحانه وتعالى).

(س) لماذا وصف الله سبحانه وتعالى دينه العظيم بالنور ومن ثم نسبه إلى

---

(١) الميزان: ج٢٨ ص٢٥٥.

(٢) سورة المسد: ٢.

نفسه فقال: ﴿نُورَ اللهِ﴾؟

(ج) وذلك للإشـارة إلى عدم القدرة على تحديده أو تحجيمه أو القضاء عليه. إنه النور الذي ينفذ في كل مكان وزمان ومخلوق قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحُكِيمُ﴾[١]، ثم إنّ النور هو الإيمان، قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾.

والقرآن نور أيضاً. قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ...﴾. وقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُونَ﴾

(س) هل هناك فائدة من هذا الوصف؟

(ج) ١ ـ إن وصف دين الله سبحانه وتعالى بالنور يدل على علو شأنه وعظمة برهانه وذلك لنورانيته ولتعلقه بالله سبحانه وتعالى.

٢ ـ يشير إلى أنه لجميع الخلائق دون أن يكون لفئة معينة، كما روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «بعثت إلى الأحمر والأسود»[٢].

۞ قال تعالى: ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

(س) الإتمام للنور لا يكون إلا عند حدوث النقصان فيه، فهل حدث نقصان للنور؟

(ج) إن للنور كَمالَين: الأول في ذاته وهو كامل لأنه نور الله سبحانه وتعالى

(١) سورة الصف: ١.

(٢) تفسير الكبير: ج٢٩ ص٣١٥.

الذي لا يمكن أن يكون فيه نقص، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾، والكمال الثاني هو انتشاره والأخذ به من قبل المكلفين، ولكن عندما يبتعد المسلمون عن الأخذ بنور الله عز وجل كما هو ينبغي، عندها تقوى القوة الشيطانية في الأرض، ولكن بما أن الله سبحانه وتعالى قضى لهذا النور بالكمال كما قال تعالى: ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ولهذا فسوف يظهره ويبسطه على جميع الأديان والمذاهب ولو كره الكافرون، وهذا الإظهار العظيم لا يكون إلا مع ظهور وليّه وحجته على خلقه وهو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ومع ظهوره يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، إذاً فنور الله كامل ولكن الناس يحتاجون إلى الارتفاع إلى مستواه لكي يأخذوا منه، حيث لا يمكن للإنسان المظلم أن يجعل النور في قلبه وسلوكه[1].

(س) هل تسير البشرية نحو الكمال أم نحو الانحطاط؟

(ج) ١ ـ قال بعض الخَلق إنها تتجه نحو الانتكاس والانحطاط واحتجوا على ذلك بأن حوادث يوم القيامة التي تطوى بها صفحة الحياة الدنيا إنما هي نتيجة لوصول البشرية إلى منتهى الانحراف.

٢ ـ وقال آخرون إن الحياة تسير نحو التكامل، وهذا ما نستلهمه من آيات القرآن الكريم ومن بينها هاتان الآيتان وهما تشيران وتبشران بأن الكمال ينتظر البشرية في المستقبل، مع ظهور صاحب العصر والزمان حيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. قال علي بن إبراهيم القمي رحمه الله ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ بالقائم من آل محمد صلى الله عليه وآله حتى إذا خرج يظهره الله على الدين كله،

---

(١) التفسير الكبير: الآية (مع تصرف).

حتى لا يعبَدُ غير الله، وهو قوله عليه السلام: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[١].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «حتى لا تبقى قرية إلا ويُنادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله بكرة وعشياً»[٢].

٣ ـ وقال بعضهم الآخر: إن النور المحمدي صلى الله عليه وآله في حالة اتساع وانتشار بالرغم من الجهود الجبارة التي يبذلها أعداء الحق والإنسانية لخنقه ومحاصرته، والذي يشهد على هذا هي الإحصائيات، فإن عدد المسلمين في تزايد مستمر رغم جهود الصهاينة والمستعمرين الذين يسعون لإبعادهم عنه بمختلف الصور والأساليب اللا إنسانية[٣].

(س) ما هي الطرق والأساليب التي استخدمها أعداء الله سبحانه وتعالى لإطفاء نور الإسلام؟

(ج) ١ ـ في البداية استخدموا أسلوب الأذى والسخرية بالنبي صلى الله عليه وآله وبأهل بيته المعصومين عليهم السلام بمختلف الصور والأساليب، حتى قال صلى الله عليه وآله «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت».

٢ ـ فرض الحصار الاقتصادي والاجتماعي وإثارة الحروب عليهم (كحرب أحد والأحزاب وحنين وغير ذلك).

٣ ـ التآمر الداخلي وإبعاد الأئمة الطاهرين عليهم السلام عن مركزهم الإلهي في قيادة الأمة الإسلامية.

٤ ـ تجزئة الأمة الإسلامية الواحدة إلى دويلات كثيرة وصغيرة ومن ثم إلقاء

---

(١) تفسير القمي ج٢ الآية.

(٢) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٥٤.

(٣) تفسير الأمثل: الآية (مع تصرف).

العداوات والبغضاء بينها.

٥ ـ تشجيع الرذيلة والخلاعة والفساد بين صفوف المجتمع الإسلامي وإشاعة وسائل الميوعة والانحراف والانحطاط بين الشباب وهذا نراه قائماً على قدم وساق في جميع دول العالم حتى في الدول الإسلامية.

٦ ـ الاحتلال العسكري والسياسي والاقتصادي للبلاد الإسلامية وهذا ما هو قائم أيضاً بشكل كبير في أغلب بلاد المسلمين. وغير ذلك من الأساليب الأخرى. ولكن قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ يشبه لنا عمل هؤلاء الظالمين بأنه في ضلال وضياع وأنهم لا يصلون إلى هدفهم المشؤوم، فما جهودهم الجبارة هذه إلا كمن يحاول إطفاء نور الشمس التي تضيء العالم كله بنفخةٍ واحدة.

۞ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتعليل قوله (عز وجل) ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ...**﴾، فيكون المعنى من خلال جمع الآيتين: والله متم نوره لأنه هو الذي أرسل رسوله بنوره الذي هو الهدى ودين الحق ليجعله غالباً على جميع الأديان ولو كره المشركون من أهل الأوثان[1].

(س) لماذا قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ...**﴾ ولم يقل مثلاً: بالخير والصراط المستقيم؟

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(ج) ١ ـ إنه تعالى قال ﴿... بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ﴾ وذلك للإشارة، بأن هذا الدين هو الذي يحمل نور الهداية الحقة للبشرية وأنه هو الدين الحق الذي يجب أن يتمسك به الإنسان لكي يرى السعادة العظمى خلال مسيرة حياته فلا هداية في المبادئ الأخرى ولا خير في الأديان التي امتدت إليها يد التحريف وغيرت فيها ما شاءت.

٢ ـ أن قوله ﴿بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ﴾ يشير إلى أن هذا الدين هو الذي سوف ينفذ في كل مكان وهو الذي سوف ينتصر على جميع الأديان لأنه هو الهدى والدِينِ الحق، بينما الأديان الأخرى لا تحمل الهداية والحق للبشرية وإنما سيكتب لها الدمار والاضمحلال بما دخل فيها من التغيير والضلال.

(س) لماذا قال تعالى في الآية المتقدمة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ بينما قال في هذه الآية ﴿وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾؟

(ج) قال الفخر الرازي في تفسيره:

إن لفظ الكفر أعم من لفظ الشرك، فالمراد من الكافرين هنا هم اليهود والنصارى والمشركون، وإن هؤلاء يرجون ستر النور الإلهي والقضاء عليه، فلهذا وجب أن يقول ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، بينما الآية الثانية تتحدث عن الرسول ﷺ والدين وإن الذين واجهوا الرسول هم المشركون حسداً من أنفسهم، فبما أن الرسول والدين أخص من النور، لهذا قالت الآية المباركة ﴿وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾[1].

(س) ما المراد من إظهار الدين، ولماذا يظهر على الأديان الأخرى وهي دين

(١) التفسير الكبير: ج٢٩ ص٣١٥.

أيضاً كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ..﴾؟

(ج) إظهار الشيء على غيره هو نصرته وتغليبه عليه، والدين هو الطاعة؛ وبما أنه ليست جميع الطاعات مقبولة عند الله سبحانه وتعالى فالسبل والطاعات التي تتجه في الاتجاه المعاكس لطريق الله عز وجل مرفوضة وباطلة، فلذا لابد أن يقضي عليها، وذلك بإظهار دين الحق عليها[١].

(س) متى يظهر الله دينه على الأديان الأخرى؟

(ج) كما هو ظاهر: إن الأديان الأخرى البعيدة عن أوامر الله عز وجل ونواهيه في حالة انتشار وتوسع كبير، وإنما تملك قدرات مادية هائلة، بحيث إنها تقدر على جذب مِئات الآلاف من البشر لدينها بين عشية وضحاها من خلال تأثيرها الاقتصادي والمعيشي عليهم. تذكر الإحصائيات، بأن ثلث طائرات دول العالم تعود ملكيتها للكنيسة المسيحية في روما، وأن القادة المسيحيين يملكون في أكثر دول العالم بنوكاً مهمة، وإلى غير ذلك من الإمكانيات المادية الكبيرة بالإضافة إلى الدعم الكبير والمهم لهم من قبل الدول الاستعمارية في العالم، التي تحارب الإسلام بشتى الطرق والوسائل، منها من خلال نشر الفساد والميوعة والانحلال الخلقي بين المسلمين، فلذا فإن الدين الذي يواجه حرباً شعواء من كل حدب وصوب لا يمكن له الظهور والانتشار بالشكل المطلوب والكامل إلا من خلال نزول نصر إلهي كبير عليه مع ظهور حجته على الأرض وهو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام فيملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. عندها يظهر حكم القرآن بشكل كامل مع ظهور الإمام

---

(١) تفسير الميزان: الآية (مع تصرف).

المعصوم عليه السلام كما قال النبي صلى الله عليه وآله «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً، ولقد أخبرني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

(س) إذا كان الدين الحق لا يعلوا على الأديان الموجودة إلا مع ظهور الإمام الحجة عليه السلام، فما هي الفائدة التي يلمسها المؤمنون اليوم من هذه الحقيقة؟

(ج) ١ ـ أنها شعلة الأمل التي تملأ قلوب المؤمنين بالله في كُلّ مَواجهة لهم مع الباطل، وتعطيهم روح النّصر والاستقامة.

٢ ـ إنها بطاقة الانتماء إلى هذا التيار الإلهي الذي سينبعث ويملأ الدنيا نوراً بعد أن يمتلئ ظلاماً[1].

❁ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

(س١) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) جاءت الآية المباركة لتُبين الطريق الذي يُوصل الإنسان ويجعله ضمن تيار الحركة للتأريخ في اتجاه التكامل وظهور دين الله على سائر الأديان مع ظهور صاحب الأمر الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

(س٢) ما هو المراد من (هل) في الآية المباركة؟

(ج) إن قوله تعالى ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ في معنى الأمر عند الفراء، يقال هل أنت ساكت أي اسكت وبيانه: أن هل، بمعنى الاستفهام. ثم يتدرج إلى أن يصير عرضاً وحثاً، والحث كالإغراء، والإغراء أمر، لذا فإن هل هنا دعوة للمكلفين

---

(١) من هدي القرآن: ج١٥ ص٣٥٥.

إلى الدخول في هذه التجارة الكبرى مع الله (سبحانه وتعالى)، وليست دعوة اختيارية خالية من الحث والحرص على الخير للإنسان، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ...﴾، الآية في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

(س) في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ يريد الله سبحانه وتعالى أن يعرّف الإنسان على هذه التجارة العظيمة والمربحة، ولكن أولاً يعرف الإنسان عن هذه الصفقة وهو القائل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا...﴾؟

(ج) يعرف الإنسان عن هذه المعاملة المربحة بشكل كامل، ولكن بسبب ارتباطه وتعامله المادي الدائم مع مغريات وابتلاءات الحياة الدنيا المختلفة، تجعله ينسى نفسه وسبب مجيئه إلى هذه الحياة، فلهذا تأتي التذكيرات الإلهية بصورة متوالية لكي تنقذه مما يقع في محن وابتلاءات عظمى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢].

(س) لماذا وصف الله سبحانه وتعالى هذه المعاملة بالتجارة، ولم يصفها بأمر آخر؟

(ج) ١ ـ إن التجارة عبارة عن معاوضة الشّيء بالشيء، وفي المعاملة مع الله

(١) سورة التوبة: ١١١.

(٢) سورة الحشر ١٨، ١٩.

عز وجل هناك معاوضة أيضاً كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾ ودل عليه ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾.

٢ ـ التجارة تنجي التاجر من محنة الفقر المادي، بينما هذه التجارة تنجي الإنسان من جميع أنواع الفقر. قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا...﴾[١].

٣ ـ كما في التجارة ربح وخسارة، كذلك الأمر في المعاملة مع الله سبحانه وتعالى فمن آمن وعمل صالحاً فله الأجر العظيم، ومن كسل وأعرض عن العمل الصالح فله الويل والخسران المبين[٢].

(س) ما هو رأس المال الذي يجب أن يملكه الإنسان في تجارته مع الله سبحانه وتعالى؟

(ج) الإيمان الكامل، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الإيمان إقرارٌ باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان».

(س) ما هو الربح الذي يحصله الإنسان من تجارته هذه؟

(ج) ١ ـ الحياة السعيدة والطيبة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾، ولهذا قال في آخر الآية ﴿... ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٢ ـ مغفرة الذنوب ودخول الجنان.

قال عز وجل: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

---

(١) سورة الإسراء: ٧.

(٢) التفسير الكبير (الآية) (مع تصرف).

الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

٣ ـ النصر والفتح. قال تعالى: **﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**.

(س) عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكني رأيتك أهلاً للعبادة فعبدّتك»، وفي قولٍ آخر قال عليه السلام: «وآخرون عبدوا الله طمعاً بجنته فتلك عبادة التجار»، فكيف نجمع قول الإمام علي عليه السلام مع الآية المباركة؟

(ج) إن العبادة التي كانت للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهكذا للأئمة المعصومين عليهم السلام من ذريته الطاهرين تفوق عبادة المخلوقين جميعاً سوى عبادة النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي هي فوق عبادة الجميع، فإنّ عبادتهم كانت من الدرجة الأولى والعليا التي لا يقدر عليها أحد، ثم تأتي عبادة سائر الأنبياء والمعصومين بدرجات أقل حتى تصل إلى عبادة المخلوقين العاديين الذين لا يعبدون الله إلا إذا لمسوا نفعاً من ورائها في الدنيا والآخرة، إذ فبما أن الناس متفاوتون في قدراتهم فإن عباداتهم متفاوتة أيضاً، وبما أن فائدة العبادة ترجع إلى الإنسان **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** في كل الأحوال، لذا فربنا يقبلها من الجميع على حسب قدراتهم ما داموا متجهين إليه، سواء عبدوا رهبة أو رغبة أو طمعاً، إذاً فلا تنافي بين قول الإمام عليه السلام والآية المباركة.

(س) هل يجد المؤمن في تجارته مع الله سبحانه وتعالى خسارة ما؟

(ج) لاشك أن المؤمن يجد ذلك بشكل واضح وذلك عندما يحصل خللٌ أثناء الصفقات التجارية المتبادلة، وبما أن الله سبحانه وتعالى غنيٌّ عن العالمين في جميع الأحوال والظروف، فإن الخلل الذي يظهر في التبادل التجاري هو من

الإنسان نفسه، من الله تعالى قال عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

(س) كيف يطلب الله تعالى من المؤمنين الإيمان وهم مؤمنون، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ... تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتجَاهِدُونَ...﴾؟

(ج) ١ ـ يمكن أن يكون المراد من هذه الآية المنافقين. وهم الذين آمنوا في الظاهر.

٢ ـ ويمكن أن يكون أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين آمنوا بالكتب المتقدمة. فكأنه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالكتب المتقدمة، آمنوا بالله وبالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ ـ ويمكن أن يكون أهل الإيمان كقوله ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً، لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً﴾.

٤ ـ ويمكن أن يكون هذا المجموع هو الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله هو الإيمان الكامل والمطلوب[١].

(س) ما هي الأمور التي يجب أن يجاهد فيها الإنسان كما قال عز وجل: ﴿... وَتجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾؟

(ج) ١ ـ جهاد فيما بين الإنسان وبين الخلق، وهو أن يداريهم ويمنع أذاه عنهم ومن جانب آخر ينفق على فقيرهم في سبيل الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾[٢].

٢ ـ جهاد فيما بينه وبين نفسه بأن يمنعها عن الحرام ويدعوها إلى الاستقامة والصلاح الأكثر، وأن يوظفها في خدمة الخلق والرسالة الإسلامية. قال الإمام

(١) تفسير الرازي: ج٣٠ ص٣١٧.

(٢) سورة المزمل: ١٠.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من كَثُرت نِعَمُ الله عليه كَثُرت حوائج الناس إليه»[١].

٣ ـ جهاد فيما بينه وبين الدنيا بأن لا يجعلها هدفاً لوجوده فيها[٢] وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الدنيا تغر وتمر وتضر»[٣].

۞ قال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ..﴾

(س) لماذا تقدم ذكر الأموال على الأنفس في الآية المباركة؟

(ج) يظهر بأن الجهاد بالمال أسهل للإنسان من الجهاد بالنفس، حيث إن صاحب المال إذا أراد أن يجاهد إنما يجاهد بماله أولاً فإذا قدّم أمواله أولاً عندها يمكن له أن يقدم نفسه في سبيل الله عز وجل حيث إن الجود بالنفس أقصى غاية الجود[٤].

(س) ما هو العذاب الأليم الذي تقصده الآية المباركة بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟

(ج) قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً...﴾ إن الذي يعرض عن التجارة مع الله سبحانه وتعالى بالإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويعرض عن الجهاد في سبيله، سوف يدخل في دائرة العذاب الإلهي أينما حلّ وارتحل ولاشك أن هذا العذاب يزداد ما دام باقياً في هذه الدائرة، ثم ﴿وَلَعَذَابُ

---

(١) نهج البلاغة: ص ٦٨٢.

(٢) التفسير الكبير: ج٣٠ ص٣١٧ (مع تصرف).

(٣) نهج البلاغة.

(٤) من هدي القرآن: الآية.

الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾.

(س) كيف نجمع بين قوله تعالى ﴿...تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...﴾ وقوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾[1]؟

(ج) لا يوجد تنافٍ بين القولين، فالآيتان تصبان في قناةٍ واحدة، ربّنا سبحانه وتعالى أباح للمؤمنين أن يستفيدوا من نعمه التي جعلها على الأرض بالشكل الكامل وأمرهم من جانب آخر أن لا ينسوه، فإنهم إذا نسوه فسوف ينسون أنفسهم ويضيعون في متاهات سحيقة، فإذا تصرف الإنسان بنعم الله سبحانه وتعالى كما ينبغي وكما أمر في كتابه العزيز فإنه بهذه الصورة لن يخرج لا من دائرة الجهاد في سبيل الله عز وجل ولا من دائرة الاستفادة من نعمه وطيباته.

❁ قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(س) ما فائدة مجيء هذا المقطع من الآية المباركة؟

(ج) الآية الشريفة جاءت لترد على الذين يدّعون بأن الجهاد خسارة لا تعوض، وأنّ الواجب على الإنسان أن يحفظ ما عنده من الأموال والإمكانيات الدنيوية مهما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يصح إنفاقها على الآخرين. لاشك أن مثل هؤلاء لا يملكون شيئاً من العلم والإيمان حيث إنهم لو كانت قلوبهم متعلقةً بالله سبحانه وتعالى لَما تعلقت بالأموال والدنيا. قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «البخل جامع لمساوئ العيوب وهو زمامٌ يقود

---

(١) سورة الأعراف: ٣٣.

بصاحبه إلى النار»، فالإنسان العالم هو الذي يخشى الله ويعرفه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بينما الإنسان الجاهل البعيد عن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتمسك بتوافه الدنيا بقلبه وقالبه.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من كان همه في بطنه فقيمته ما يخرج منها».

۞ قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ..﴾

(س) لماذا قال تعالى في هذه الآية ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بينما قال في سورة نوح (على نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام): ﴿... يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾؟

(ج) لاشك أن الذي يعقد صفقة تجارية كبيرة مع الله سبحانه وتعالى ثم يواظب على استمراريتها من دون أن يعتريها خلل أو نقص فإنه يستحق مغفرة جميع الذنوب وذلك لبذله كل ما يملك من مالٍ ونفسٍ في سبيل الله عز وجل، بينما الإنسان العاصي والبعيد عن الله سبحانه وتعالى إذا رجع إلى ربه فإنه يستحق مغفرة بعض ذنوبه وهي التي كانت بينه وبين الله، ولكن الذنوب التي بينه وبين الناس، توجب عليه أن يرجع إليهم ويتصالح معهم ويؤدي حقوقهم، وعليه أن يحفظ نفسه من إعادة الذنوب التي ارتكبها سابقاً.

۞ قال تعالى: ﴿..وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(س) ما هي بعض مواصفات المسكن الطيب الذي سيعطى للمجاهدين في سبيل الله سبحانه وتعالى؟

(ج) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «قصر من لؤلؤ في الجنة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمرد خضراء، في كل

بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، وقال: ويعطي الله المؤمن من القوة في غداةٍ واحدةٍ ما يأتي على ذلك كله»[1].

(س) لماذا لم تشر الآية إلى بعض مواصفات المسكن كما أشار النبي ﷺ إلى ذلك؟

(ج) ١ - لا يتطرق القرآن الكريم عادة في الحديث عن الأمور بشكل تفصيلي كامل لعدم الأهمية القصوى، وذلك لأن القرآن هو كتابُ هداية، لا يطيل الحديث في الأمور الغير مهمة.

٢ - إن النعم التي يعطيها الله (سبحانه وتعالى) لعباده الصالحين في الآخرة كاملة الأوصاف والمتطلبات وليست كالنعم التي يجدها الإنسان في الحياة الدنيا، فالمسكن الذي يعطى للمؤمن في الجنة ليس فيه أي نقص، بخلاف المساكن الدنيوية التي لا تخلو من النقص مهما اجتهد الإنسان في تعميرها وتكميلها.

(س) لماذا أشارت الآية المباركة إلى موضوع المسكن الطيب ولم تشر إلى النعم الأخرى المادية التي ستقدم لأصحاب الجنة؟

(ج) يلعب السكن دوراً مهماً وفعالاً في حياة الإنسان أينما حلّ وارتحل سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، حيث إنه أول ما يفكر به الإنسان فيما إذا أراد أن يخطط ويبني لمستقبله، فمن خلاله يجد الإنسان الاستقرار والراحة النفسية والجسدية ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾، وتتجلى قيمة المسكن بصورة أكبر عندما يتميز بالطهر والكمال كالذي في الجنة، حيث

---

(١) نور الثقلين: ج٥ ص٣١٨.

يجد فيه الإنسان كل ما لذّ وطاب، ولهذا السبب أشارت الآية المباركة إلى هذه النعمة دون النعم المادية الأخرى.

۞ **قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾**

(س) ما هو الشيء الآخر الذي يحبه المؤمنون؟

(ج) ١ ـ قيل: إنها بشارة بالنصر والفتح القريب العاجل في الدنيا، وهي نعمة أخرى تعطى للمؤمنين فيما إذا استجابوا لله (سبحانه وتعالى) فيما دعاهم إليه[١].

٢ ـ وقيل إن البشارة هنا تنصرف إلى أشياء أخرى غير الجنة والنصر، مِن أبرزها لقاء الله ورضوانه[٢].

(س) لماذا تقدمت مغفرة الذنوب في الآية المباركة على النعم المادية والمعنوية التي تعطى للمؤمنين في الدنيا والآخرة، حيث قال: **﴿... يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا...﴾**؟

(ج) إن الذنوب هي أهم أمر يقف أمام الإنسان في الدنيا فيسلب منه الراحة والسعادة بصورة كاملة، فإذا ما علم بأن ذنوبه سوف تغفر جميعها فيما إذا عقد الصفقة التجارية الكبرى مع ربه فإنه سوف يجد الراحة والهدوء تتجهان نحوه[٣].

(س) ما هي الذنوب التي سوف تغفر في هذه الصفقة التجارية؟

(ج) يظهر أن جميع الذنوب سوف تواجه المغفرة من الله (سبحانه وتعالى)

---

(١) تفسير الميزان: الآية

(٢) من هدي القرآن: الآية

(٣) تفسير الأمثل: الآية

حيث إنها ذكرت بصورة مطلقة وجعلت مقدمة لدخول الجنة، ولا معنى لبقاء بعض الذنوب على حالها دون أن يكتب لها الغفران كالذنوب المتعلقة بحقوق الناس، حيث لعل الله (سبحانه وتعالى) يجازي أصحابها بالخير والفضل، فيتنازلون عن حقهم.

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾؟

(س) ما وجه اتصال الآية بما سبق؟

(ج) الآية المباركة جاءت في معنى الترقي بالنسبة إلى الآية السابقة ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فهي تدعو المؤمنين أن يتّسموا بسمة نصرة الله عز وجل وأن يداوموا عليها ويثبتوا، ويكون هذا من خلال نصرة النبي محمد ﷺ قولاً وعملاً، كما نصر الحواريون عيسى عليه السلام وفيه إشارة إلى أنَّ النصر بالجهاد لا يكون مخصوصاً لهذه الأمة[١].

(س) من هم الحواريون؟

(ج) ١ ـ قيل: هم الخلص والخواص، وسُمُّوا بهذا الاسم لأنهم كانوا قصارين «كما عن قتادة»، حيث إن الله أمر عيسى عليه السلام فقال: إذا دخلت القرية فأت النهر الذي عليه القصّارون فاسألهم النصرة، فأتاهم عيسى وقال: من أنصاري إلى الله؟ قالوا: نحن ننصرك، فصدقوه ونصروه ولعل القصار هو الذي يبذل قصارى جهده.. وسُمُّوا بذلك لمبالغتهم في العبادة والطاعة لله (سبحانه وتعالى)[٢].

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

(٢) القرطبي: ج١٨ ص٩٠.

٢ ـ قيل إن أصل الكلمة من الحور وهو البياض ، وإنما سموا كذلك لبياض قلوبهم وصفائها في الولاء لعيسى عليه السلام.

وجاء في بعض الروايات أن المسيح عليه السلام أرسلهم وكان عددهم اثني عشر شخصاً، إلى مناطق مختلفة من العالم، وذلك لإخلاصهم وتضحيتهم في سبيل الحق، وكانوا يكنون أعظم الحب والولاء بينهم.

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ..﴾

(س) هل يحتاج الله (سبحانه وتعالى) إلى الأنصار، لينصرونَهُ؟

(ج) ١ ـ لا يحتاج ربنا (سبحانه وتعالى) إلى أنصار ينصرونه ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾، فالمراد من نصرته هو أن ينصروا نبيه في سلوك السبيل الذي يدعو إلى الله (سبحانه وتعالى)كما قال عز وجل: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[1] يوسف: ١٠٨.

٢ ـ قيل: إنه أمر بإدامة النصرة والثبات عليه، أي: ودوموا على ما أنتم عليه من النصرة[2].

(س) هل كان للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنصار كما كان لعيسى عليه السلام؟

(ج) حسب الظاهر وكما يشهد التاريخ الصحيح، أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتلك ذلك العدد الذي كان يمتلكه نبي الله عيسى عليه السلام من الأصحاب الصادقين، وثبت هذا الأمر بصورة واضحة بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الدنيا، حيث انكشفت حقيقة الذين كانوا يدعون الإيمان والإسلام، عندما رفضوا إطاعة أوامره ووصاياه، ولم يقف مع الحق الذي كان متجسداً في الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام إلا عدد قليل أقل من أنصار عيسى عليه السلام. قال رسول

---

(١) تفسير الميزان: الآية.

(٢) تفسير الرازي: الآية.

الله ﷺ: «عليٌّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار».

❁ قال تعالى: ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

(س) من هي الطائفة التي آمنت بعيسى عليه السلام؟ وكيف أيدهم الله على عدوهم وأصبحوا غالبين؟

(ج) قال ابن عباس: «... لما رفع الله «عيسى» إلى السماء تفرقوا ثلاث فرق، فرقة قالوا: كان الله وارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه، وهم المسلمون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، واجتمعت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة فقتلوهم وطردوهم من الأرض، فكانت الحالة هذه حتى بعث الله محمداً ﷺ، فظهرت المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾[1].

(س) حسب الظاهر، إن التأييد الإلهي الكامل لم ينزل، ولكن لابدّ من نزوله فمتى يكمل ويتم للمؤمنين؟

(ج) ينزل التأييد الإلهي الكبير ويتحقق عندما تتهيأ أرضية ذلك في المسلمين، أو عندما يكمل العدد اللازم والمعين للذين سينصرون حجة الله في الأرض وهو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، فعلى يده المباركة سوف تمتلئ بإذن الله تعالى الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، عندها يظهر الدين الحق على جميع الأديان ولو كره المشركون، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) التفسير الكبير: الآية.

مصادر البحث

١ـ القرآن الكريم

٢ـ نهج البلاغة : للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ـ تفسير الميزان : للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ره).

٤ـ التفسير الكبير: للفخر الرازي.

٥ـ تفسير الأمثل : مكارم الشيرازي.

٦ـ تفسير الفرقان : الشيخ محمد الصادقي.

٧ـ من هدي القرآن : للعلامة السيد محمد تقي المدرسي.

٨ـ تقريب القرآن : آية الله السيد محمد الشيرازي(قدس سره).

٩ـ التفسير المنير: الزحيلي.

١٠ـ مجمع البيان : للطبرسي.

١١ـ نور الثقلين : للحويزي.

١٢ـ الدر المنثور : لجلال الدين السيوطي.

١٣ـ الكشاف : للزمخشري.

١٤ـ الجامع لأحكام القرآن : القرطبي.

١٥ـ تفسير القمي.

١٦ـ بحار الأنوار : المجلسي (قدس سره).

١٧ـ مفردات الراغب : للأصفهاني.

١٨ـ المنجد.

١٩ـ ميزان الحكمة : محمد الري شهري.

٢٠ـ الكافي : الكليني.

٢١ـ وسائل الشيعة : الحر العاملي.

٢٢ـ في ظلال القرآن : سيد قطب.

٢٣ـ مفاتيح الجنان : للشيخ عباس القمي.

٢٤ـ فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد : السيد محمد كاظم القزويني (قدس سره).

٢٥ـ شرح زيارة عاشوراء : لأبي الفضل الكلانتري.

٢٦ـ الاحتجاج : للطبرسي.

٢٧ـ ثواب الأعمال : الشيخ الصدوق.

٢٨ـ تحف العقول : المجلسي.

الفهرس